جزائر البصرة ١٥٤٦-١٦٣٣ م

دراسة في التحولات والاقتصادية والاجتماعية

المدرس المساعد
مشتاق عيدان اعبيد
مديرية تربية البصرة / ثانوية المدينة للبنين

الملخص:-

ركزت هذه الدراسة على التحولات والاقتصادية والاجتماعية في جزائر البصرة مابين عامي ١٥٤٦-١٦٣٣م ، إذ كانت العلاقات في منطقة الجزائر قبل الإحتلال العثماني محكومة بالوضع القبلي السائد، القوى التي تعمل فيها انذاك تتضمن الأنماط الاجتماعية والاقتصادية التقليدية ، النابعة من النظام المشاعي(غياب الملكية الخاصة للاراضي والمراعي واماكن الصيد في الاهوار) ؛ لذلك لم تستجب للنظام الجديد ممثلاً بالاقطاع، الذي أراد العثمانيون فرضه بشكل معد سلفاً كحتمية، ممّا أدى إلى حدوث صراع حول مسائل تتعلق بملكية الارض وانتقالها، وكذلك حول الضرائب وطريقة جبايتها، وعليه تأخرت عملية التفاعل مع نظم الدولة العثمانية . وقد اتبعنا في هذه الدراسة االمنهج المادي التاريخي بعد ان زودنا بمنهج منتظم وأداة لا غنى عنها لفهم وتحليل مجموعة العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من العوامل التي تتلاحم وتتفاعل في المجتمع كوحدة متكاملة لايمكن فصلها، وقد اشتمل البحث ثلاثة محاور وخاتمة ، تناول الأول منها التكوينات الاجتماعية في جزائر البصرة ، وقد تم تمييز اربع مكونات اجتماعية هي : آل عليان ، والفلاحين، ورجال الدين، والصابئة . فيما بحث المحور الثاني اثر الاحتلال العثماني في التحولات في جزائر البصرة ١٥٤٦-١٥٩٦م ، أمّا المحور الأخير فقد تناول آل فراسياب ودورهم في التحولات في جزائر البصرة ١٥٩٦-١٦٣٣م، ولعل اهم ماتوصل اليه البحث: تأخير عملية الانتقال من النظام المشاعي إلى النظام الإقطاعي؛ وذلك لأنَّ التحوّل تطور تاريخي طبيعي يحصل بشكل تدريجي، يتم خلاله قطع المراحل الضرورية للوصول إلى المرحلة التي تحتّم وجوده كنتيجة لذلك التطور، وقد اكتملت تلك الظروف في عهد الإمارة الإفراسيابية .

Gazaer Al Basrah 1546-1633

A study of economic and social changes

Asst. Lect. Mushtaq Idan Obaid

Basra Educational Directorate/ Al Medina High School for Boys

Abstract:

This study focused on the economic and social transformations in Gazaer Al Basrah between 1546 and 1633. Traditionally, the region was governed by the prevailing tribal system. At that time, these forces operated according to the traditional social and economic patterns emanating from the communitarian system in which there is no private land or fishing marshes. These forces did not respond to the feudalism that the Ottomans wanted to impose in a premeditated manner. This situation led to a conflict over different issues such as land ownership and taxation. This study used the historical approach that provided a systematic approach and an indispensable tool to understand and analyze the political, economic, social and other factors that interact in this region as an inseparable unit. The research included three parts and a conclusion. The first part dealt with the social formations in the islands of Basrah. Four social components were identified: Al-Alian, the farmers, the clergy, and the Mandaeans. The second part dealt with the effects of the Ottoman occupation in the transformations of the Basrah Islands from 1546 to 1596, while the last part focused on Al-Frazayeb and their role in the transformations in the islands of Nazareth, 1596-1933.

The most important outcome of research is the delay the process of transition from the communitarian system to the feudal system. The transformation is a natural historical development gradually. The most important outcome of research is the delay the process of transition from the communism system to the feudal system. The transformation is a natural historical development gradually.

المقدمة :-

ان منهج البحث التاريخي منهج علمي ومحايد له ادواته في النقد التاريخي ؛ لذلك يستخدمه المؤرخ أياً كان لونه ومذهبه[١]، وعليه فقد اتبعنا في هذه الدراسة المنهج المادي التاريخي القائم على التحليل الدياليكتيكي ؛ إذْ نرى أنّه التحليل الوحيد الذي يسمح بالتقاط البنى الاجتماعية (السوسيولوجية) في حركتها والتي تشكل الطبقات جزءا منها، بعد أنْ زودنا بمنهج منتظم وأداة لا غنى عنها لفهم وتحليل مجموعة العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من العوامل التي تتلاحم وتتفاعل في المجتمع كوحدة متكاملة لايمكن فصلها، وأنَّ "رفض التحليل الطبقي لتوافقه مع ايديولوجيات معينه فحسب ، أمر غير مقبول بتاتاً من وجهة نظر البحث العلمي" [٢] ؛ لأن الحدث التاريخي ليس له وجه واحد أو جانب واحد وانّما له عدة وجوه، ومن هنا تأتي أهمية المنظور التاريخي للمؤرخ الذي يرى منه الحدث التاريخي وأعادة تركيبه .

ان كتب التاريخ التي تتحدث عن جزائر البصرة[٣] في تلك المُدّة[٤] تحتوي على مردودات (سجلتاريخية)[٥] لم تستطع اعطاء تحليل موضوعي لحالة المنطقة ودوافع الصراع فيها ، لكنّها توفر لنا مجموعة من المواد التاريخية الخام، يمكن ان تخدم هدف السعي إلى تشخيص طبيعة ومجرى التحولات التي تكمن فيه . وكثيراً ما تواجهنا في دراسة هذه الحقبة رؤى ينطلق في انشاءها من المظهر الديني العقائدي[٦] أو القومي[٧]، فأتبع اصحابها التفسير العقائدي لوقائع مشبعة بالحوافز والنوازع البشرية ، وانتهى الكثير منهم الذي تحت تأثير هذا الفهم الى رؤية أحداث الصراع على أنَّها تدور بين شيعة وسنة أوْ عرب واجانب، أذْ قاموا بترحيل مفردات الصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الى حرم الصراع الفكري ، فضلاً عن تأكيد المؤرخون على المأثر والبطولات العسكرية لابن عليان[٨] ولم يروا الجوانب الاخرى في منطقة الجزائر.

أما على صعيد الواقع، فإنَّ منطقة الجزائر كانت العلاقات - ربما لمحدودية البيئة الزراعية- محكومة بالعلاقات القبلية السائدة، وأن القوى التي تعمل فيها آنذاك تتضمن الأنماط الاجتماعية والاقتصادية التقليدية النابعة من النظام المشاعي(غياب الملكية

الخاصة للأراضي والمراعي وأماكن الصيد في الأهوار) ؛ لذلك لم تستجب للنظام الجديد ممثلاً بالاقطاع الذي اراد العثمانيون فرضه بشكل معد سلفاً كحتمية، ممّا أدى إلى حدوث صراع حول مسائل تتعلق بملكية الأرض وانتقالها، وكذلك حول الضرائب وطريقة جبايتها، وعليه تأخرت عملية التفاعل مع نظم الدولة العثمانية، حتى اكتملت الظروف الموضوعية واصبح التحول نتاج تفاعل واحتكاك دائرتين حضاريتين ، وخضوع الواحدة للأخرى ، وهنا وجب علينا الرجوع إلى المادة التاريخية الخام لأستجواب بعض شواهدها حول اسرار ما جرى .

وبعد هذه المقدمة ، نؤكد أنَّ هذه الدراسة محاولة لألقاء الضوء على طبيعة صراع التحول - الانتقال من المشاعية الى الأقطاع - وأبعاده ، منطلقة من القناعات التي وفرتها المصادر ذات العلاقة ، وتدعونا الأمانة العلمية الأنْ نعطي الحدث التاريخي حقّه ، ونضعه في مكانه الصحيح من السلم التاريخي دون مبالغة أو تهويل أو انسياق وراء الخيال .

اولاً : التكوينات الاجتماعية في جزائر البصرة

تقوم المجتمعات - بدائية أمْ متحضّرة - على أساس من مكونات اجتماعية ، وغالبا ما تقوم تلك المكونات على اساس النسب او القوة او السيطرة او الثروة التي لها في المجتمع، كما قد تكون على اساس المهنة التي يزاولها ، إذْ تختص بعض المكونات في مزاولة أعمال خاصة، أو قد تختص بمهنة معينة يزاولها كل أفرادها[٩] ، وفي مجتمع جزائر البصرة يمكن تمييز أربعة مكونات اجتماعية هي :

١- آل عليان .

٢- الفلاحين .

٣- رجال الدين .

٤- الصابئة .

آل عليان

هم بيت الرئاسة في منطقة الجزائر، ينتسبون إلى قبيلة طي، ويسكنون المنطقة منذ العهد العباسي، وبعد أن اتسعت الأهوار في زمن المغول نتيجة أهمالهم الري بعد اجتياحهم بغداد عام ١٢٥٨[١٠]، أصبحت طوبوغرافية المنطقة معقدة ساعدت في تشكيل كيان خاص بهم[١١] ، وقد كانت السلطة بيد شيوخ آل عليان إذْ أصبحوا حكّاماً بالوراثة ، وكان الأبناء يتوارثون منصب الشيخ عن آبائهم ، وقد أدى هذا التقليد الى نزاع بين الأسرة نفسها[١٢] ، وأنَّ تعبير (شيخ) تعبيراً عن الرجل المسن لدى العرب لم يكن يحمل تمييزاً طبقياً ولاتوحي بالطغيان أو التعالي[١٣]، وكانت الأراضي مشاعة يتصرف بها كل سكان الجزائر بزعامة ابن عليان[١٤]، ومنذ القرن الخامس عشر أخذ شيوخها يحملون لقب (أمير)[١٥]، وقد تصاعد نفوذهم باتجاه تكوين مركز سياسي متمايز لمواجهة العثمانيين، وانتقالهم في تلك الحقبة من العشائرية إلى الأمارة ، وعليه أصبحوا إمارة منظمة لها رؤسائها وقضاتها ومدارسها[١٦]. وكان لمجمل هذه التطورات اثره الحاسم في احداث خلخلة في النظام القبلي إذْ منح لهم ذلك ومهد الطريق لنشوء نظام جديد بعد ان تركزت القوة السياسية بأيديهم ، واصبح افراد القبيلة خاضعين سياسياً لرؤسائهم[١٧]، رغم احتفاظهم بمشاعية الأرض لاسيما وأنَّها منطقة أهوار مشاعة للجميع.

وكان تركيب المجتمع في الأهوار لم يكن معقّدا، واصبحت طموحات آل عليان العامل الحاسم في مجرى الأحداث إذ انهم يتطلعون لتأسيس حكم شخصي ، أذْ كان الطموح الشخصي هو الأقوى مما دفعهم لقتل منافسيهم على سلطة الجزائر، وما حدث مع أمارة ربيعة في نهر عنتر خير دليل على ذلك[١٨] .

وفي الأحوال كافة ، كانوا يعيشون بعيداً عن السيطرة الخارجية وهم يسيطرون على المسالك الوعرة في الاهوار، ونتيجة هذه العزلة الجغرافية اكتسبوا شيئاً من الأعتزاز بتنظيماتهم العشائرية وبلورة الولاء وتركيزه حولهم ؛ أذْ يُعد آل عليان مثالاً للأتحاد العشائري في تلك المنطقة، ومن أجل الأستحواذ الكامل على الرعية فقد قاموا بتوطيد العلاقات الفلاحية في تلك المناطق ، وبنوا القلاع المنيعة في المنطقة ، ولم يكن بوسع أي

سلطة الوصول إليها بسهولة، لطبيعة المنطقة التي كان معظمها مناطق أهوار ومستنقعات، فضلاً عن صلابة وشجاعة أهلها[١٩] ؛ إذ كانو " مجبولون على الحرب "[٢٠].

الفلاحين

كانت منطقة الجزائر بلاد زراعية والمنتج الأساسي فيها الفلاح مستعيناً بالأدوات الأنتاجية البدائية لحرث الارض وكان يستهلك قسم من المحاصيل ويبيع الفائض منه، علما بأنَّهم كانوا لايزرعون إلّا جزءا صغيرا من المساحة اليابسة من منطقتهم بصورة مشتركة ولكنهم رغم ذلك كانوا يوفرون ما يكاد يقرب من مجموع الأرز الذي كانت تستهلكه ولاية بغداد أبان الأحتلال العثماني عام ١٥٤٦[٢١]. وقد سجل الرحالة الفرنسي جان بابتيست تافرنييه (Jean Baptiste Tavernier) ملاحظاته حول النشاط الزراعي في الجزائر ، إذْ ابدى إعجابه بخصوبة أرضها بقوله: " لاشك أنَّ هذه الأراضي من أحسن ما يملكه السلطان ؛ لاشتمالها على مراعٍ واسعة، ومروج نظيرة يُربَّى فيها عدد كبير من الحيوانات، خاصة الأفراس والجواميس "[٢٢]. أمّا الرحالة الايطالي سبستياني (Sebastiani) فقد سجل مشاهداته عن المنطقة أثناء مروره بها ، وممّا جاء في رحلته : " وسط صفوف من النخيل والأشجار المثمرة المختلفة تقوم على جانبيه [نهر الفرات] قرى صغيرة وقلاع متناثرة شيدت من اللبن" [٢٣].

وبلا شك أن الحروب التي دارت رحاها في منطقة الجزائر قد أدت الى أزمة حادة في الأنتاج الزراعي عندما اخليت مناطق زراعية بأكملها ، نتيجة العمليات الحربية ومشاركة عدد كبير من سكان المنطقة في الحرب الدائرة ممّا سبب انخفاضاً كبيراً في المساحات المزروعة في جميع انحاء المنطقة ؛ وعليه كان هدف العثمانيين مضنياً لتحطيم قوة تلك العشائر وإخضاعها بصورة نهائية للسيطرة العثمانية[٢٤] لذا لجئوا لممارسة الضغط الأقتصادي ضد السكان وتطبيق سياسة الأرض المحروقة تجاه العشائر، من خلال تدمير المزروعات وقلع الأشجار المثمرة ومنها النخيل التي توجد على نطاق واسع في منطقة الجزائر وما يحيط بها[٢٥]. وعليه تعطل البناء الاقتصادي الذي يعتمد أساساً على الزراعة وقد ظلت البلاد راكدة عدّة سنين نتيجة الحرب المستمرة التي ادت الى هدم

السدود والى هلاك بساتين النخيل ، فضلاً عن تطبيق نظام الجباية الالزامية التي فرضها العثمانيون على ابن عليان [٢٦] والتي تقع على عاتق الفلاح ، كل ذلك قد اعاق تطور الاقتصاد الفلاحي الذي اعتمد على الزراعة ، ولم يستطع الفلاح التخلص من البؤس الذي يعانيه بمضاعفة انتاجه ، نتيجة الغارات التي تشنها القوات العثمانية بشكل مستمر، والتي بدورها أجل التحولات الاجتماعية والاقتصادية ، وجراء ذلك فقد تكدس الفلاحون في اكواخ قصبية وان البؤس الذي كان يعانيه الاطفال والكبار على حد سواء قد اتصف بالشمول مما ادهش الكثير من الرحالة الذين مروا بالمنطقة فقد أبدى نيبور أستياءه من الوضعية العمرانية السيئة فيها فيصفها بأنَّها : " مشيدة على أتعس طراز ويتجلى منها أنَّ الشيوخ العرب لم يتركوا الشيء الكثير لسكانها المسالمين ، فالبيوت وأسوارها كلها من القصب، والخلاصة أنَّني لم أصادف في أي مكان أكواخاً أردأ من أكواخ هذه المنطقة الخصبة بطبيعتها المشهورة منذ أقدم الازمنة حيث كانت منطقة غنية بالسكان "[٢٧] أمّا كاريه فقد اشار بأن المدينة مبنّية بشكل غير منتظم ، أمّا مساكنها فهي على شكل مجموعات صغيرة بسبب العدد الكبير من القنوات الصغيرة التي تشطر المكان، والسكان كلهم من العرب[٢٨] ، لقد أتخذ الأستيطان في هذه المنطقة شكلاً قبلياً إذْ بقيت المنطقة مقسمة بين تلك القبائل في العهد العثماني وكان لكل قبيلة ديرتها ومساكنها الخاصة بها[٢٩].

يبدو أنَّ الفلاحين من سكان الأهوار لم يتأثروا إلا قليلا بالنمو الاقتصادي والاجتماعي آنذاك ؛ إذْ كان النسق الاجتماعي قائم على أساس القبيلة ، وإلى جانب الفلاحين وجدت فئة من الكسبة وأرباب المهن كانت تعمل بصيد الأسماك طيلة العام وصيد الطيور الموسمية وتربية البقر والجاموس ، ويشتغل البعض بصناعة البواري وتسويقها إلى المدن القريبة[٣٠].

رجال الدين

أتخذت أمارة آل عليان من التشيع مذهباً دينياً لها كباقي سكان الجزائر[٣١]، وهي جزء من ديانة سكان الأهوار في العراق فهم مسلمون من أتباع المذهب الجعفري[٣٢]، وقد أشار

الجغرافيان ياقوت الحموي (١١٧٩-١٢٢٩م)، والقزويني (١٢٠٣-١٢٨٣)م إلى انتماء الشعب الذي يقطن دجلة جنوب بغداد وسكان الأهوار في الفرات الأدنى إلى الطائفة الشيعية، ولاحظ ذلك أيضاً الرحالة ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٧)م، وتشير المصادر إن في أيام المشعشعين كان كل جنوب ما هو عراق اليوم شيعياً بشكل رئيس باستثناء مركز مدينة البصرة[٣٣]، وأكد القاضي نور الله التستري في مجالسه "وعلى هذا قد ظهرلنا أنَّ متوطني تلك الديار كانوا من الشيعة الإمامية"[٣٤]. ونتيجة لاضطراب الوضع الامني في العراق في القرن الخامس عشر شهدت ظاهرة توافد العلماء إلى الجزائر في تلك المدة ، لاسيما بعد ان اسس المشعشعيين امارة شيعية في الاحواز شملت معها الجزائر[٣٥]، وعليه اصبح لرجال الدين الشيعة نفوذ كبير في اوساط عشائر الجزائر ، واصبحت بينهم علاقات لعبت دوراً مهماً في الحياة اليومية ، وكان لتلك العلاقات اهمية كبيرة ، اذ كثيرا ما ذهب شيوخ القبائل الى المجتهدين لبحث المشاكل؛ اذ كان القضاء فيها في الغالب قضاءً شرعياً يوكل أمره غالباً إلى كبار العلماء في المنطقة للبت في الكثير من الخلافات والمنازعات ومنهم رجل الدين وقاضي الامارة محمد بن الحارث المنصوري، وكذلك الشيخ عبد النبي الجزائري[٣٦]، وعادةً ما يتولى أمراء الجزائر مساعدة العلماء في تطبيق الأحكام التي يصدرونها بمعنى أنهم يؤدون دور السلطة المنفذة لتلك الأحكام ، وفي ذلك بعض الروايات التي ذكرها أحد تلامذة الشيخ عبد النبي وأشار إليها الأفندي في رياضه قائلا: تحاكم إليه فريقان متخاصمان في بلاد القطيف حول أموال ونخيل وبساتين عظيمة، وكانت تحت يد أحدهما إذ تبلغ عشرة آلاف جريب[٣٧]، ولكل منهما بينة تعارض الأخرى، وعندما اطلع على ذلك حكم بالحق لذوي البينة الخارجة، وانتزع لهم جميع ذلك بمعونة حاكم البلد هجرس[٣٨] بن محمد بن جبر بن صالح الجزائري[٣٩].

كما وردت أسماء لعدد من المدارس الدينية في منطقة الجزائر التي تولاها رجال الدين، إذ اكد الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي[٤٠] بأنه تتلمذ في مدارس الجزائر (المنصورية واللطيفية)، فأخذ الصرف والنحو عن السيد نعمة الله الجزائري[٤١] والشيخ محمد بن عبد الحسين الجزائري، وأخذ العروض عن الشيخ أحمد المدني، وأخذ العربية عن السيد

عزيز الجزائري (إبن السيد نعمة الله الجزائري)[٤٢]، فيما أورد السيد نعمة الله الجزائري وجود مدارس دينية في نهر عنتر حيث كان أخوه السيد نجم الدين يدرس فيها، فضلاً عن وجود الجوامع التي كانت بمثابة المراكز العلمية في المنطقة إذ أشار السيد نعمة الله الجزائري إلى وجود "مسجداً جامعاً" في نهر صالح - مقر أمراء آل عليان – كان يصلي فيه "خاتمة المجتهدين" الشيخ عبد النبي الجزائري[٤٣]، وقد اتخذوا من اسم الجزائر لقباً جغرافي لأسماءهم، فأصبح اغليهم يلقب بـ(الجزائري)[٤٤].

وأن أغلب رجال الدين من السادة وذلك أعطاهم فرصا احسن للحياة بين سكان الأهوار الشيعة ، لأن مذهبهم قائم على الولاء للأئمة وآل البيت، ونتيجة لمكانتهم لدى سكان الأهوار كان كثيراً ما يمنحهم شيخ العشيرة بعض من المحاصيل الزراعية[٤٥]، كذلك يهبهم الفلاحين مما لديهم[٤٦] .

الصابئة

ضمت الجزائر بين سكانها أبناء الطائفة الصابئية الذين كانوا يستوطنون المنطقة منذ قرون[٤٧]، واغليهم من قبيلة (الجحيلية) الصابئية[٤٨]والذين كانوا يشتغلون في صناعة القوارب المحلية (المشحوف) التي تستعمل محليا بصورة واسعة؛ لأنها واسطة النقل الوحيدة في الأهوار وبرعوا كذلك في صناعة آنية الفضة وصياغة الذهب[٤٩]، وأنّهم في الغالب حرفيين ولم يرتبطوا بالسوق وربما باعو منتجاتهم بدون وسيط وقد تحولت السوق إلى مكان الانتاج والتجارة في انٍ واحدٍ . وأنَّ ابناء الطائفة الواحدة أحتكروا تلك الحرفة ويلاحظ أنَّها انتقلت من جيل الى آخر ، وعند دخول الرحالة كارية لأحدى قرى الجزائر (نهر صالح) شاهد البازارات (الأسواق) المنظمة الطويلة ، ومنهم بعض التجار الذين يتاجرون في الورش المحلية "[٥٠]، وأنهم لم يشكلوا قوة ملحوظة، نتيجة تبعثرهم وأنعزالهم ممّا أعاق تضامنهم المجتمعي[٥١]. إذْ أنَّ أهل الجزائر يعدونهم أنجاسا فلا يأكلون ولايشربون من الأواني التي يأكلون ويشربون منها، ولا يمكن تصوّر حدوث تزاوج بينهم وبين الصابئة[٥٢] .

وكان وجودهم قرب الأهوار وعلى سواحل الأنهار لدواعٍ دينية لأن الماء شيء مهم في ديانتهم للأغتسال والوضوء(التعميد)[٥٣]، وتشير بعض المصادر أنْ تواجدهم في منطقة الجزائر وتوابعها بأعداد كثيرة ؛ لكونهم يرون أنَّ نهر الفرات أكثر قدسية ، ويطلق علية (فرات زيوه) أي النهر الابيض المقدس[٥٤]، وهذا ما اكّدته خارطة الصابئة التي رسمها أحد الرحالة الأوربيين في اوائل القرن السابع عشر، إذْ أشار إلى الحواضر في التي سكنتها هذه الطائفة مع بيان عدد اسرهم في كل مكان من جزائر البصرة [٥٥]، وقد ساهموا في بعض الحروب التي حدثت في البصرة إلى جانب المسلمين[٥٦].

ثانياً : أثر الأحتلال العثماني في التحولات في جزائر البصرة ١٥٤٦-١٥٩٦م

لمْ تعرف منطقة الأهوار أدارة فعّالة متسلّطة طيلة المّدة التي سبقت الأحتلال العثماني، اذ ظل سكان العشائر طيلة تلك المدة تحت وطأة النظام العشائري ويحكمون من قبل شيوخ القبيلة[٥٧]، هذا بالاضافة الى نظام الملكية المشاعية للأرض إذْ كانت الأرض تعود لهم وتُعد ملكا جماعيا بينهم[٥٨]، وبحكم طبيعتها الإستقلالية الرافضة للإحتلال والتبعية لأية سلطة خارجية ، فقد إكتفوا العثمانيون عند دخولهم بغداد عام ١٥٣٤م بالولاء الأسمي الذي أبداه زعماء القبائل ، وذلك انطلاقاً من سياستهم القائمة على عدم التدخل في شؤون القبائل طالما كانت موالية لهم[٥٩]، والبقاء على النظام الاجتماعي الذي كان سائداً لدى الشعوب الخاضعة حين فتحها، وبقت الأرض والسلطة كالسابق في أيدي الأمراء المحليين ، وعليه أوفد أهل الجزائر ممثلين عنهم إلى السلطان العثماني لإعلان الولاء له[٦٠]، وكانت علاقتهم بالدولة العثمانية علاقة "تمشية حال" دون أنْ يأخذوا شيئاً أوْ يعطوا شيئاً[٦١]، الّا أنَّ الموقف تغيّر عند أقتراب العثمانيين من البصرة عام ١٥٤٦م ؛ إذْ وقف أهل الجزائر ضدّهم حال وصولهم اليها[٦٢]، على الرغم من أنَّ اياس باشا بعث برسالة أطمئنان الى علي بن عليان قبل تحرك قواته باتجاه البصرة ، جاء فيها :"منذ مدة طويلة تربطنا (واياكم) علاقة ودية كبيرة ، واننا على مقربة من بعضنا البعض ، ويرد الكفار – والقصد منهم هنا البرتغاليون – من مختلف المناطق بشكل مستمر وبأمان ، وطلب مني السلطان سليمان قبل أيام أنْ أتوجّه الى البصرة ،

واقوم بفتحها ، واتوجه منها إلى هرمز والهند ، ومحاربة البرتغاليين الضالين ، وإنهاء جميع أدارتهم والقضاء عليهم ، وقواتي على وشك التحرك ، وسنأتي عن طريق (زكية) ونمتلك كل المستلزمات من مدافع كبيرة وسفن ، وكل ما يستلزمه الجند ، وسنلتقي في القرنة ، منها سننطلق في السيطرة على البصرة عن طريق النهر والبر"[٦٣].

كان تحرك اياس باشا باعثاً لقلق ابن عليان بأن يستحوذ العثمانيون على أراضي امارته في حال سيطرتهم على البصرة ، وخوفاً على موقعه باعتباره حاكماً[٦٤]، على الرغم من أنَّ الواعز المعلن لهذه الحرب دينياً بأنَّها ضد (الكفار) الا ان ابن عليان لم يستجب لها ، إذ انهم في تلك الحرب مثلوا فيها المصلحة الطبقية أكثر من الحماسة الدينية ، وانَّ ذلك بحق كان مبدأ ثورياً ، إذْ كان الفلاح الثائر الحقيقي، ومن هذه الإشارات نستشف أنَّ قدراً من الخلاف لايدور حول الدين، وبأمكاننا إنْ نرصد من بينها قوة عناصر دنيوية، بل أنَّ ثمّة عدداً من العوامل التي كوّنت خلفية الصراع العثماني في الجزائر تمنحه صفة الصراع الاقتصادي ، اذ لم يشعر افراد العشائر في الجزائر منذ مدّة طويلة بضرورة الخضوع إلى تنظيم سياسي واداري غير العشيرة يشاركهم مكاسبهم الاقتصادية فتطور في نفوسهم مفهوم الاستقلال بمنطقتهم ، وقد سلكت هذه الجماعات في تطورها سبلاً مختلفة تضامنت فيما بينها تضامناً عفوياً فظهرت خلال اسابيع قصيرة نواة حركة ثورية تصّدت للعثمانيين ، إذْ سار ابن عليان على راس ثلاثة آلاف مقاتل من اتباعه من اهل الجزائر[٦٥]، كان التزام ابناء المنطقة تجاه منطقتهم التزام طوعي ناشيء من انتماء عضوي الى القبيلة وارتباط بمصيرها ، وان التزامه عفوي ، محكوم بالعرف لا بالسلطة ، فهو عضو من جماعة يلتحم بها .

وعلى الرغم من تلك الاستعدادات فإنَّها لمْ تستطع الوقوف بوجه القوات العثمانية الكبيرة، إذْ إنسحب المقاومين من ساحة المعركة وأختفوا في أعماق الجزائر[٦٦]، وعملوا على قطع جميع الطرق المؤدية الى ولاية البصرة، عندها أصدرت السلطات العثمانية عام ١٥٤٩م أوامرها القاضية "بتأديب" الثائرين هناك إلى علي باشا تمرد رئيس إنكشاري بغداد، وبعد أن أكمل إستعداداته العسكرية توجه بقواته نحو البصرة فنزل الجيش

الموحد إلى جانب الفرات وضرب حصاره على المدَّيْنَة[٦٧] التي كانت مقراً لقائد الثوار ابن عليان ، وبعد ثلاثة أيام من القتال إستولى العثمانيون على المدَّيْنَة وكسرت حماسة القبائل وفرّ زعيم آل عليان مع أتباعه متفرقين في الآهوار، إلّا إنّهم لم يتركوا المقاومة بل إستمروا في التعرض للجنود العثمانيين وقطع طرق إمدادهم[٦٨].

إجمالاً فقد تمّكن العثمانيون من فرض نفوذهم على البصرة وإنهاء حكم آل مغامس عليها ، وقد أتبعوا أسلوب السالیانة[٦٩] لأدارتها[٧٠] ، لكن هذا النظام لم يشمل كل أراضي البصرة ، إذْ خضع بعضها لنظام الأقطاع ، وقد طبق بشكل محدود في المناطق التي خضعت لسيطرتهم ، وكان التحرير يتم بمسح الأراضي ، واحصاء السكان ، وتقدير الضرائب التي تجبى منهم ، مع ذكر أسماء المكلفين دفعها ؛ إذ يسجلون في دفتر مفصل[٧١]، إلا أنهم عجزوا عن تحقيق هذا الأمر بالنسبة لأمارة آل عليان في الجزائر، نتيجة لطبيعة المنطقة التي كان معظمها مناطق أهوار ومستنقعات، ولم يكن بوسع العثمانيين الوصول إليها بسهولة [٧٢] فقد ورد في دفتر الطابو عند تسجيلهم عدد الطوائف والجماعات في الخانات التي تسكن منطقة الجزائر في منتصف القرن السادس عشر بأنَّ " ابن عليان غصب التصرف في هذه الجماعات لذا كُتبت أعداد الخانات فيها بالتخمين "[٧٣]، وبحكم طبيعة نظامها المشاعي في اراضيها التي يتصرف بها كل سكان الجزائر بزعامة ابن عليان[٧٤]، فقد زاد ذلك الرفض عندما أراد العثمانيون إخضاع المنطقة لسلطتهم المباشرة وإدارتها وفقاً نظام الإقطاع العسكري[٧٥]، وعليه لجأ العثمانيون لممارسة الضغط الأقتصادي ضد السكان وتطبيق سياسة الأرض المحروقة تجاه العشائر، من خلال تدمير المزروعات وقلع الأشجار المثمرة ومنها النخيل التي توجد على نطاق واسع في منطقة الجزائر وما يحيط بها[٧٦]، وبما أنَّ البناء الاقتصادي يعتمد أساساً على الزراعة فقد ظلت المنطقة لعدة سنين مهملة نتيجة الحرب المستمرة التي أدّت إلى هدم السدود والى هلاك بساتين النخيل، وذلك ما اكدته الوثائق العثمانية ، إذ لم تلقِ الحكومة العثمانية اسباب تدهور الوضع في منطقة البصرة على العشائر "المتمردة" هناك ، بل حمّلت في الوقت نفسه كادرها الاداري بأنهم " قاموا بممارسة الظلم

والتعدي على الرعايا ، الأمر الذي أدَّى بهولاء أنْ يتركوا اماكنهم ، وأدى إلى عدم قيامهم بالزراعة في القرى والمزارع " وحمل بكلربكي البصرة مسؤولية هذا الأمر[٧٧].

وبلا شك أدّى تدهور الوضع الاقتصادي الى سحق الطبقات الدنيا في المجتمع بعد هلاك بساتين النخيل لاسيما وأنَّ التمر من المحاصيل الموجهة للاستهلاك الجماهيري ؛ إذْ كان طعاماً للفقراء ، ممّا دفعهم ذلك الحرمان أنْ يعيشوا بعض الأوقات على عمليات السرقة ، وقد اشتملت كتب الرحالة على كثير من الاشارات التي صورتهم على أنَّهم لصوص[٧٨]وهو تعبير عن موقف العشائر العدائي تجاه الدولة العثمانية فإنّهم إنْ طالبوا بفدية أوْ نهبوا قافلة مارة عبر اراضيهم بالصدفة فأنهَّم ينهبوها إنتقاماً من العثمانيين، الذين غالباً ما يغيرون على سكان الجزائر ويسلبون مواشيهم ومحاصيلهم ويحولون حياتهم إلى جحيم، جرّاء عدم استطاعتهم جبي الضرائب في المناطق التي يسيطرون عليها[٧٩]، ويمكن أنْ تفسر عمليات السرقة على أنّها ظاهرة اجتماعية تُعبرّ عن السخط الجماهيري أكثر من كونها حركة ثورية ، بعد أنْ أصبحوا دون عمل أوْ دخل منظم يعيشون منه داخل المجتمع ، وكانت الضرورة الاقتصادية هي القوة الدافعة الرئيسية لذلك الفعل وليس نمط تفكير وسلوك .

ويتضح ممّا سبق أنّ المؤثر الأكبر في ثقافة أهل الجزائر السياسية هو اللقاحية الجاهلية والمشاعية ، اللقاحية كمنحى رفض للدولة والنظام وهي تشكل أحد أهم عناصر التحريض في الصراع السيا-اجتماعي، اما المشاعية فهي وعي فطري يتشكل عند سكان أهل الهور نتيجة اقتصادها الجماعي، فضلا عن ذلك ما لرجال الدين بتلك المنطقة آنذاك من دور في مقاومة الأنظمة الادارية الجديدة خوفاً من أن تلك الاصلاحات تنتقص من أهميتهم الاجتماعية وأمتيازاتهم الاقتصادية، اضافة لذلك كان ال عليان يشعرون بالعداء للسلطات العثمانية خوفها بأن تصبح حائلاً دون أنفرادهم بسلطة الجزائر[٨٠]، وقد تكافئت هذه النزعة مع التكوين السيكولوجي لابن الهور المنحدر من بيئة تحكمها البيئة المشاعية ممّا شكل بحد ذاته موقداً للصراع ذي محتوى اقتصادي سافرا حيناً ومستتراً حيناً آخر، وأنَّ الحركة التي قام بها سكان الجزائر بزعامة آل عليان كانت في

واقعها نضالاً ثورياً قوض السيطرة العثمانية، ولكن بقت ثورتهم معزولة لم تتطور الى ثورة عامة ، إذْ لم يكن مؤهلين لصياغة آيديولوجيا في شكل برنامج يحدد اهداف ثورتهم، فقط كان الحافز الطبقي العفوي هو الذي كان لدى الجماهير، لكن فقدانها البرنامج ليس يرجع الى نقص مضمونها الاجتماعي الثوري التاريخي بل يرجع الى الثغرة الايديولوجية بين جماهير الثورة .

وبحلول عام ١٥٥٢م تغيّر الوضع فقد اشارت الوثائق العثمانية ، أنَّ منطقة المْدَيْنَة والجزائر خضعت للسيطرة العثمانية الفعلية ، وقد سعى العثمانيون بعد فتحهم لقلعة المْدَيْنَة– التي وُصِفَتْ بأنَّها "أعظم قلاع الجزائر وأحصنها" - إلى تنظيم الشؤون العسكرية والإدارية فيها إسوة بمناطق البصرة الأخرى، وعليه وجّه الديوان الهمايوني (السلطاني) في إستنبول في ٢٩ جمادي الاولى٩٥٩هـ الموافق ٢٣أيّار١٥٥٢م أوامره إلى علي باشا والي بغداد لبذل قصارى مساعيه في مسألة إصلاح الجزائر، والسعي بكل جهده للقبض على ابن عليان- الذي وُصِفَ بـ "المفسد"- مؤكداً ضرورة "تطهير البلاد منه" ؛ لأنَّ بقاءه فيها يجعلها عرضة للاضطراب الدائم[٨١].

وبناءً على ذلك ، أمر الديوان الهمايوني والي بغداد علي باشا في ٢٩ تموز١٥٥٢م بتحويل قلعة ((المْدَيْنَة والجزائر)) إلى ((ولاية)) مستقلة[٨٢]، وأصدر في اليوم ذاته حكماً سلطانياً إلى والي البصرة قباذ باشا يقضي بتفويضه أمر ولاية ((المْدَيْنَة والجزائر))، وأكد عليه بأنْ يكون "مجدّاً وغيوراً في إحياء وإعمار وحفظ وحماية الولاية"، وطبقا لما ورد في الحكم ذاته ، فقد تم تخفيض وضع البصرة الإداري بتحويلها من ولاية إلى لواء (سنجق) تابع للولاية الجديدة وعيَّن محمد بن قباذ باشا أميراً للواء البصرة، وفوّض الحكم قباذ باشا النظر في أمور الولاية واللواء معاً، وفوّض إليه كذلك أمر الأماكن المفتوحة من الولاية ، وأن يقوم بتصحيح وضعها وإصلاحها بكل الطرق الممكنة سواء بالاستمالة أم السيطرة[٨٣]، وأكد الديوان على ضرورة إتخاذ الإجراءات الرادعة بحق المناوئين، وأن يسلك سبيل اللين مع الافراد المسالمين وحماية مصالحهم وتكريم المتعاونين منهم، وفي هذا المنحى أوردت سجلات الأحكام العثمانية مرسوماً سلطانياً في ٨ شعبان ٩٥٩هـ / ٣٠

تموز١٥٥٢م، يقضي بتكريم أمراء العشائر ولم يتردد الديوان الهمايوني في إرسال خطاب إليهم بإسم السلطان سليمان القانوني تقديراً لمواقفهم تجاه الدولة العثمانية، ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المعروف بـ ((شيخ بني أَخلاف)) الذي أسدى خدماته للدولة فكرم بمنحه منصب لواء ، وأكدت الأحكام كذلك على مصادرة كل مايمتلكه بن عليان من أموال وأملاك، فضلاً عن مصادرة أملاك وأموال جميع الفارين من السكان[٨٤]. إذْ حاول العثمانيون أتباع سياسة نزع أراضي الفلاحين المشاعية عنوة وجعلها ملكية فردية إلى الشيوخ[٨٥]، وهي محاولة للقضاء على ملكية القبائل الجماعية للأرض ، وقد لاقت إجراءات السلطات العثمانية هذه مقاومة من الجماهير القبلية ، وعليه أصبح الأقطاعيون الجدد يملكون الأراضي التي مُنحتْ لهم بالأسم فقط [٨٦] . وجرّاء ذلك الرفض لمْ يستطيعوا العثمانيون السيطرة على تلك الأراضي المشاعة التي يتصرف بها كل سكان الجزائر بزعامة ابن عليان ، وفشلت كل محاولات السلطة العثمانية بعد ذلك في انتزاعها من الفلاحين وضمها إلى الأراضي الأميرية ومن ثم توزيعها كأقطاعات على شيوخ العشائر الموالية لهم [٨٧].

فضلاً عن ذلك ، أصدر الديوان الهمايوني في ٢٩تموز١٥٥٢م إذناً بالموافقة على بناء جامع في داخل المْدَيْنَة لتقام فيه صلاة الجمعة، وكان ذلك بناءً على طلب والي بغداد علي باشا[٨٨]. وذلك من اجل التقليل من هيمنة وانصياع سكان المنطقة لرجال الدين ، وفي المضمار نفسه عملوا على جعل القضاء تابع للسيطرة العثمانية بدلاً من القضاء الشرعي الخاضع لرجال الدين في ولاية المدينة والجزائر، إذ أمر الديوان بتعيين قاضي الحلة ((مولانا علاء الدين)) قاضياً للولاية وطلب منه الإسراع في التوجه إلى المنطقة لمزاولة عمله[٨٩].

وبعدما تمت السيطرة العثمانية على الجزائر في السنة ذاتها -١٥٥٢- أصْدرت الحكومة العثمانية قانون نامة البصرة ، والذي يوضح أسس وقواعد جباية الضرائب، ويوضح نوعية السلع والضرائب المفروضة عليها، وأخذت الجزائر تغذي البصرة بالكثير من السلع والمنتجات التجارية التي كانت تذهب لميناء البصرة ، فضلا عن الرسوم التي تحصل عليها من السفن التي تأتي من نواحي الجزائر[٩٠]، إذْ نص القانون بأن البلح القادم من الجزائر

تفرض عليه ضريبة أربع آقجات[٩١] عن كل سفينة محملة به، واذا كانت محملة بالرز او السمك تحصل ست أوقيات من كل باخرة محملة به ، وتحصل ست عشر اقجة عن السمك الذي تحملة السفن الكبيرة المملوءة اكثر من السفن الصغيرة[٩٢]، واذا أحضر أحداً رزاً أو قمحاً أو ماشاً من قرى الجزائر يدفع أثنين من المن (البطمان)[٩٣] من كل نوع[٩٤]، كما يحصل على نصف عروق الخشب بالسفن القادمة من الجزائر ، اما اذا احضر احدا ثوراً وبقرة وباعهما في السوق يحصل من البائع اثنا عشر آقجة ، أما إذا أحضر جاموسة وباعها تحصل منه عشون اقجة، كما نصَّ القانون بأنْ النارنج القادم من الجزائر فتحصل خمسة آقجات عن كل مائة نارنج ، وتحصل اربع اقجات من كل خمس عشرة من الحصير، وحصيرة واحدة عن كل عشرين حصيرة تأتي بالسفن من الجزائر، وتحصل ثمان اقجات عن كل (بطمان) من المراجل الضيقة التي تأتي من الجزائر ، وتحصل ثمان اقجات عن كل قالبين من الدبس، وتحصل اقجتان عن كل سفينة محملة بالحطب ، وحزمة واحدة من الحطب عن كل مائة حزمة[٩٥]، اما الرسوم التي تحصل من السفن القادمة من البصرة الى الجزائر فكان يحصل عن البز الرقيق الذي ينقل من البواخر إلى الجزائر أربع اقجات ، وثمان واربعون اقجة من النيلة[٩٦] الذي ينقله أي شخص بالسفينة من البصرة الى الجزائر[٩٧] .

أمَّا بخصوص الضرائب التي فُرضَتْ على تجارة الجزائر خارج حدود البصرة فقد أشار القانون بأن يحصل خمس وعشرون اقجة عن كل سفينة صغيرة محملة بالبلح قادمة من الجزائر الى الحويزة رسوما للعبور عن طريق ميناء زكية[٩٨]، فيما يحصل واحد على ثلاثين من البلح والملح وشراب العنب والرز والحنطة والشعير والعنب والرمان والسمك وامثال ذلك من الاشياء المحملة على السفن القادمة من الجزائر الى نواحي الحويزة وخالدية ونهر دوب رسوما للعبور عن طريق ميناء القرنة ، كما أشار أنَّ السفن المحملة بالعمال القادمة من الجزائر الى بغداد ومن بغداد إلى الجزائر يحصل عنها رسم عبور قدره ثماني اقجات من قبل كمرك القرنة[٩٩] .

ويدلل ما ذكر أعلاه ، أنَّ اقتصاد المنطقة لايقوم على الأكتفاء الذاتي فقط وانمّا تصدير ما ينتجون، كما يظهر بعض الانتاج التخصصي من خلال تنوع المحاصيل، بحيث أصبح الناتج الزراعي جزءاً في العملية التجارية أي أنّه أصبح ينتج من أجل المبادلة، أي أصبح أنتاجاً تجارياً ، استفادت منه فئة معينة أخذت على عاتقها جمع الأموال ، ومن هنا تتضح الأهمية الاقتصادية للمنطقة بالنسبة للعثمانيين . فقد كانت منتجات الجزائر تغطي الأستهلاك المحلي لسكان البصرة مثل الرز والتمور والسمك والحصر، فضلاً عن العائدات الكمركية السنوية التي تحصل عليها البصرة عن البضائع القادمة من الجزائر والدورك وبغداد قد بلغت ٥٢٧,٢٦٩ آقجة وأرتفعت إلى ٧٤٩,٣٣٨ ، لذلك فأن الدولة العثمانية اعتبرت البصرة من بين مدن الامبراطورية الاكثر ثراء ، إلّا أنّها لمْ تحصل على الفائض من عائدات البصرة ؛ وذلك بسبب مصاريف الدفاع غير الاعتيادية ، بل خلافاً لذلك كان عليها أنْ ترسل مخصصات مالية لدعم الميزانية المحلية[١٠٠]، نتيجة لثورات أبن عليان المتكررة .

وفي الأحوال كافة، فإنَّ نظام الأرض والضرائب أهم الخصائص الأساسية للمجتمع الأقطاعي ، ممّا دفع سكان الجزائر محاربة التحول الى الأقطاع بعد أنْ بدأت تظهر أشكال من ممارسة السيطرة على الامكانات الاقتصادية ، وعليه فإنَّ الوضع لمْ يستمر طويلاً إذْ أخذت السيطرة العثمانية على الجزائر بالضعف تدريجيا، وعليه فقدت الجزائر وضعها الإداري كولاية عثمانية حينذاك بعد مدة قليلة[١٠١]، أمام مقاومة العشائر الرافضة للوجود العثماني والمنضوية تحت لواء آل عليان، لذلك استعان والي البصرة مصطفى باشا عام ١٥٥٤ بسيدي علي ريس لمواجهة ابن عليان[١٠٢]، إذْ كان والي البصرة مصطفى باشا حينذاك يواجه خطرين في آن واحد وهما: قوة المشعشعين في الحويزة، وآل عليان في الجزائر، فقرر أنْ يهاجم الحويزة بنفسه ، ويكلف سيدي علي لمعاونته في مهاجمة آل عليان في السفن التي تحت قيادته في البصرة ولكن باءت حملته بالفشل [١٠٣].

وهكذا، تعاظم نفوذ آل عليان وأخذ يسبب قلقاً واضحاً لدى السلطة العثمانية في إسطنبول وبدأت تفكر بجدية للقيام بحملة عسكرية كبيرة وشاملة لإنهاء الإنتفاضة

العشائرية في الجزائر [١٠٤]، لكنها ادركت أن مطاردة ابن عليان في منطقة الجزائر، حيث الأهوار، لن تجدي نفعاً ، لهذا لجأت إلى وسائل أخرى لردعه والحد من أعماله ضدهم ، ومن تلك الوسائل ، قيامها بفرض حصار اقتصادي ، وعسكري ، واجتماعي عليه ، فأصدرت أوامرها إلى بكلربكي بغداد والبصرة في ٢٧ تشرين الثاني ١٥٦٥ بمنع تزويد بلاد ابن عليان بالمواد الغذائية ، والأسلحة ، والأخشاب المستخدمة لصناعة السفن ، ومنع دفن موتاهم في الاراضي العثمانية (النجف) ، وسد كل طرق الأنتفاع في وجوههم[١٠٥]، الا ان تلك السائل لم تجدِ نفعاً حيث قام ابن عليان بحصار سور وقلعة مدينة البصرة، وأمام عجز والي البصرة العثماني عن التصدي لقوات إبن عليان، وإقراره بعدم قدرته على التصدي لحصاره، إضطر إلى مفاتحة والي بغداد والإستنجاد به[١٠٦].

وعلى إثر ذلك، وفي عام ١٥٦٧م وجه العثمانيون حملة عسكرية كبيرة ضد آل عليان لم تشهد لها المنطقة مثيلا من قبل، قادها إسكندر باشا والي بغداد[١٠٧]، وفي تلك الأجواء المشحونة بالتحدي بعث إسكندر باشا برسالة تهديد إلى الأمير علي بن عليان وأتباعه يهددهم فيها ، مما جاء فيها "...خيولنا سوابق، وسيوفنا بوارق، ورماحنا خوارق وليوثنا لواحق، من طلب أماننا سلم، ومن أراد حربنا ندم، ملكنا لا يرام، وجارنا لا يضام، فأن أنتم أطعتم أمرنا، وقبلتم شرطنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا..." [١٠٨].

وبالمقابل ردَّ علي بن عليان برسالة شديدة اللهجة كتبها قاضي الأمارة الشيخ محمد بن الحارث المنصوري[١٠٩] تظهر الثقة العالية بالنفس[١١٠]، وطغيان المبالغة فيها استجابة لحاجة اعلامية ملحة اثارها الكفاح ضد العثمانيين والتي جاء فيها : " فالعجب العجب تهددون الليوث بالتيوس والسباع بالضباع، والكماة بالقراع، خيولنا سوابق برقية وترسنا مصرية وأسيافنا يمانية، ورماحنا خطية، وأكتافنا شديدة المضارب وسلطاننا شاع ذكره في المشارق والمغارب فرساننا ليوث إذا ركبت وعقبان إذا طلبت" [١١١].

وحالما وصلت القوات العثمانية إلى الجزائر أعلنت هجومها ودارت معارك عنيفة بين الجانبين خسر فيها الطرفان كثيراً من الأموال والأنفس والممتلكات، إضطر آل عليان على أثرها أن يعقدوا هدنة مع العثمانيين ، إذ بعث الأمير علي ابن أخيه وقاضي إمارته محمد

بن الحارث، لطلب الصلح من إسكندر باشا فوافق على ذلك واشترط عليهم إن يؤدي ابن عليان في كل سنة خمسة عشر ألف دينار ذهبا لخزانة البصرة ، وان يترك رهائن في البصرة جملة من أولاد الشيوخ، عندها أبدى المفاوضين قبولهم لتلك الشروط وذهبوا، ومن ثم عاد الأسطول الى بغداد في أوائل رمضان من عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م[١١٢].

وعلى الرغم من ذلك ، كانت الدولة العثمانية تتوجس خيفة من ابن عليان ، غير أنَّها لم تكن تتخلى عن محاولة كسبه ، للمحافظة على استقرار في المنطقة ، حتى اعترفت به حاكماً على الجزائر[١١٣]،مع قائمة طويلة من الالقاب التشريفية[١١٤]، وعهدت الى أخيه بلواء صدر سويب، على ان يدفع لخزينة الدولة ماتم الاتفاق عليه في الصلح[١١٥] . والمثير للتأمل أن العثمانيون في تلك الحملة كان هدفهم الحصول على الايرادات المالية السنوية وليس القضاء على ابن عليان، وذلك ما أكده المؤرخ العثماني بجوى ابرهيم افندي بأنَّ ابن عليان " لما كانت تحت يده بعض القرى والنواحي والأحياء وليس لديه قدرة على دفع تكاليف أمير أمراء البصرة وبغداد ... لذلك اشير الى حربه...وأخضعوه طوعاً وكرهاً "[١١٦]

وبذلك قد اتبع العثمانيون نظام جديد بعد يأسهم من ابن عليان ، نظام الاحتفاظ بالمشاعية المقيدة بكفالة على نحو يضمن دفع الضرائب والمكوس كملحق لنظام الاستغلال الاقطاعي[١١٧] ، وتعد تلك خطوة اولى تنحو باتجاه الاقطاع .

وبسبب ما يقع على عاتق الفلاح في دفع تلك الالتزامات المالية ؛ قام سكان الجزائر بالتمرد ضد ابن عليان، فقام بإبلاغ السلطة العثمانية بهذه الحركة، لهذا اصدر السلطان أوامره الى بكلربكي البصرة لتقديم الدعم له[١١٨] .

ويتضح أنَّ تطبيق الأتفاق انف الذكر شكل ردة فعل جماهيرية لكونه أصبح عبأ على السكان ، وأنَّ ابن عليان ليس لديه ما يفعله بسبب وجود الرهائن من ابناء شيوخ العشائر عند العثمانيين ، فضلا عن عدم امتلاكه مقومات مجاراة السكان في عدم الخضوع للعثمانيين ، وربما كان ينتظر الفرصة والوقت المناسب للتنصل عن التزاماته اتجاه العثمانيين وذلك ما نراه بالصفحات اللاحقة من البحث .

ورغم تلك الظروف فقد حصل استقرار نسبي في الجزائر، بعد أنْ كانت- كما تسميهم المصادر العثمانية- من اكثر المناطق "خطورة"[١١٩]، حيث دخلت المنطقة ضمن التقسيمات الإدارية لولاية البصرة عام ١٥٧٢م، إذ قسمت هذه الولاية إلى ثمانية عشر لواءً، وقفز هذا العدد إلى سبع وعشرين لواءً وستة نواحٍ بين عامي ١٥٧٤-١٥٧٥م، ومن الألوية التي ورد ذكرها في السجلات العثمانية ((الرحمانية، نهر عنتر، المْدَيْنَة، حمار، صدر سويب، غراف، طاش كويري، قبان، بربر، بوحميد، وجارور))[١٢٠]، ويبدو أنَّ تلك التقسيمات الأدارية تفتقر إلى التلاحم الداخلي في اقتصادها وإلى الوحدة الوطنية وربما كان الهدف منها تفتيت المنطقة وتحولها الى قوى انفصالية . وعلاوة على ذلك يذكر أيضاً إنَّ ريع وواردات هذه الألوية لا يسلم إلى مسؤوليها بل إلى مسؤولي الألوية المجاورة الأخرى، فعلى سبيل المثال أعطي ريع لواء الغراف إلى مسؤولي لواء المْدَيْنَة وهو برتبة (بگ)، وريع لواء المْدَيْنَة أعطي إلى بگ لواء الغراف، ويبدوا أن ذلك يرجع لمحاولة السلطات العثمانية ضبط واردات تلك المناطق وعدم إعطاء الفرصة لمسؤولي الألوية للقيام بعملية الأختلاس[١٢١]، وفي الوقت نفسه أزدادت العائدات الكمركية عن البضائع القادمة من الجزائر على السفن الصغيرة[١٢٢]، وإلى جانب ذلك أبقت الدولة العثمانية منطقة الجزائر بيد شيوخها الذين قاموا بجباية الضرائب في مناطقهم (ديرتهم) أو تم تعيين أشخاص بمعرفة أو إتفاق مع أولئك الشيوخ، ومن الأسماء التي ذكرت في هذا المجال مثلاً: شيخ ناصر ولد خليط، ونصر الله ولد حسين، وحسب الله بن مسعود، وشيخ ناصر آل مصدق، وعلى الرغم من ذلك لم تشر سجلات الدولة العثمانية في تلك المدة إلى أسماء شيوخ القبائل وعشائرهم ولم يروا فيها إسم عشيرة بل جاء بدل ذلك تسمية (جماعة) أو (طائفة)، ويقصد بها على الأرجح مفهوم العشيرة، ولا بد إن ذلك يقصد منه التقليل من أهمية تلك التكوينات الإجتماعية أو يراد منه التفريق والتشتيت وفقاً للسياسة العثمانية المتبعة آنذاك ضد العشائر، فوردت على سبيل المثال: جماعة بني مالك، وجماعة مير منصور (بني منصور)، وجماعة العطب، وجماعة السواعد، وجماعة

آل غزة، وجماعة آل نصار أتباع كعب، وجماعة آل عليان، وطائفة البونجم، وطائفة آل حسين وعمامه، وأسماء أخرى مثل (السيابجة) ولعلها من بقايا العهد الإسلامي[١٢٣].

فضلاً عن ذلك تشير كثرة التقسيمات الأدارية إلى نقطة مهمة في التاريخ الاجتماعي ألا وهي الارتفاع في النسبة السكانية ، ممّا يعطي تصوراً عن مستوى الكثافة السكانية في المنطقة، وعلى الرغم من عدم توفر الإحصاءات عن أعداد السكان في المنطقة حينذاك فليس من المستبعد أنْ يكون الاستيطان فيها كبيراً نسبياً ويتضح ذلك من الحملات العسكرية العثمانية الكبيرة التي جّهزَتْ لقمع ثوراتهم[١٢٤]، إذْ كانت منطقة نهر عنتر والمناطق القريبة منه من أكثر المناطق سكاناً وأثبتها من بين ما يقارب مجموعة من مجموعات المنازل العشائرية المماثلة لها[١٢٥]، وكذلك ذكر فتح الله الكعبي أنَّ نهر عنتر هو أكبر مواضع الجزائر وقيل أنَّه مشتمل على ثلاثمائة نهر[١٢٦]، وربما تعطيه هذه الخاصية بأن يكون أرضاً زراعية خصبة ساعدت على استيطان أعداد كبيرة من السكان فيه.

على الرغم من الإجراءات العسكرية والادارية السالفة التي إتخذها العثمانيون لإخضاع المنطقة، إلّا أنَّ أمرائها لم يستمروا طويلاً في الخضوع للإرادة العثمانية[١٢٧]، ويظهر أنَّ الأمير علي بن عليان[١٢٨] لم يلتزم بشروط الصلح المبرمة مع العثمانيين بعد مرور سبع سنين ، وبعد أن " قصرت همة الباشا عنه" حاول الإفلات من ذلك الإتفاق الأمر الذي أثار حفيظة العثمانيون ودفعهم للتضييق على السكان فأمروا بسد "الشطوط" ، وأقاموا قوات عسكرية على السد ، وقاموا برمى "اللشش" بالماء الذي يصلهم ، حتى أشرف الناس على الهلاك، فحمل الجميع السلاح وتقدموا على القوة العثمانية الموكلة بحماية السدود ودفعوهم عنها وكسروها بعد قتال شديد ، إضطر الجنود العثمانيون إلى الإنسحاب من المعركة[١٢٩]، وقد أستمر ابن عليان بالهجوم على الحاميات العسكرية العثمانية في المْدَيْنَة حتى تمكن عام ١٥٩٦م من السيطرة على قلعة الرحمانية وأخذ يهدد والي البصرة علي باشا في عقر داره[١٣٠]، ويتضح مما تقدم أنَّ السلطات العثمانية وعلى الرغم من كل التدابير الصارمة لم تستطع القضاء على حركة المقاومة العشائرية في

الجزائر، وقد ظلت تلك العشائر مصدر تحدي دائم للدولة العثمانية حتى أنتقال البصرة لسيطرة آل افراسياب.

ثالثاً : آل فراسياب ودورهم في التحولات في جزائر البصرة ١٥٩٦-١٦٣٣م

مع نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بدأ انتقال السلطة السياسية في البصرة الى إفراسياب[١٣١]، الذي اشترى إمارة البصرة من الوالي العثماني بثمانية أكياس من الذهب وعزز قوته فيها[١٣٢]، وأستمر والياً عليها لمدة سبع سنوات ثم خلفه ابنه علي باشا عام ١٦٠٣م[١٣٣]، الذي انتهج نزعة استقلالية مستغلاً وضع الدولية العثمانية بعد أنْ تمكن الصفويون من إعادة سيطرتهم على بغداد عام ١٦٢٣م [١٣٤]؛ إذ أستطاع علي إفراسياب أنْ يوسع حكمه ويوطد دعائم النظام خارج المدينة وضواحيها، إلا أنّ قبائل الأهوار في الجزائر كانت كثيراً ما تثير القلاقل لحكومته[١٣٥].

وازاء ذلك، حاول الأمير علي إفراسياب كسب القوى والزعامات المحلية في الجزائر لاسيما نعمة الله ابن عليان[١٣٦]، وقد أورد ذلك المؤرخ المعاصر للأحداث عبد علي الحويزي مؤكداً بأنه "جعله أعز كل رفيق، بل في مرتبة الأخ الشقيق، بعد أن غيرت أحواله وساءت معيشته، فألجأه إلى نفسه، وأمَّرَه في بلاد أبيه "[١٣٧]، واقطعه كل الأراضي التي كانت تحت يده مقابل التزامات مالية سنوية[١٣٨]، وبذلك انشأ نظام شبه اقطاعي وربما شكل عاملاً في تحديد اشكال العلاقات الاقتصادية-الاجتماعية .

وقد أرجع بعض المؤرخين المعاصرين تلك الإستجابة لحكم علي إفراسياب كونه يقوم على أسس تطبيق العدالة بشكل مُرضٍ، ممّا ساد الإحساس بالإطمئنان تجاهه، وليس مستبعداً أنْ شعور أهالي البصرة هذا متأتٍ من معرفتهم بأنّ إفراسياب ليس غريباً عنهم لا لغةً ولا نسباً وليس له إرتباطات بسلطة أجنبية، ولعل هذا هو التفسير المنطقي للإستقرار النسبي لهذه الأمارة التي أمتدت سيطرتها على مناطق صعبة المنال كأمارة آل عليان[١٣٩].

وقد انعكس ذلك على الوضع الأقتصادي في المنطقة ، وقد سجل العديد من الرحالة ملاحظاتهم حول النشاط الزراعي في جزائر البصرة[١٤٠]، إذْ كانت الزراعة المهنة الرئيسة لسكانها لذلك كانت ايراداتها المالية وفيرة وذلك يتضح من خلال الكمرك المفروض على

تلك المنتجات ، وذلك يؤكده ما ورد في مخطوطة السيد علي خان الموسوي المشعشعي عن واردات الكمرك السنوية لشمال البصرة في عهد علي باشا إفراسياب بما فيها الجزائر، ما نصه: "...ونهاية معمورية البصرة في أيامه إلى نهاية ، بلغ قمرقها ثمانين ألف تومان، الحَمّار ونواحيه من الغراف وغيره اثنا عشر ألف تومان، والجزائر مثله، وشط العرب من حد البصرة إلى القرنة شمال من الصفحتين من السويب وسحاب ثلاثة ألاف تومان، والجنوب من الصفحتين من كارون والحفار والقبان سبعة آلاف تومان، وإسكلة السفن الغريبة الرومية خمسة آلاف تومان ، وطمغة القرنة أربعمائة تومان"[١٤١].

لقد كان استقرار حكم آل افراسياب انقلاباً اجتماعياً ، ونتيجة لأستقرار الجزائر في زمن الأمارة الافراسيابية حتى ذلك التاريخ فقد أتخذوا خطوات لتعزيز الرفاهية الاجتماعية لا سيما التي سادت في زمن الامارة الافراسيابية وانعكست على سكان الجزائر إذ تشير المادة التاريخية بوجود مطربين يغنون على الرباب في الاعراس[١٤٢]، ممّا يدلل على انتشار الترف والرخاء ؛ إذ مكنت الثروات المتكدسة عند بعض المتنفذين من الطبقة[١٤٣] العليا أن يعيشوا حياة مترفة ، ولا يمكن العثور في المصادر ولا تذكر تفاصيل حول ثروات هذه الأسر ولكن ممّا لا شك فيه أنها كانت هائلة جداً إذْ كان لديهم دخل كبير من أراضيهم ، وأنَّ تلك التحولات الاقتصادية والسياسية تنذر ببداية نشوء صراع طبقي داخل منطقة الجزائر نفسها .

لكن الوئام بين آل افراسياب وابن اعليان لم يستمر طويلاً ؛ أذ وقف الأخير بالضد من الأمارة الافراسيابية فقام علي باشا افراسياب في أيلول ١٦٢٦م بتوجيه حملة عسكرية ضده لكنه تحاشي الأصطدام معه وتفضيل اللجوء إلى الطرق الدبلوماسية على الرغم من القوة العسكرية الكبيرة التي أعدها فعفى عنه وأمر جيشه بالإنصراف عن محاربته وأظهر الرضا عنه بإبقائه على البلاد التي أقطعها إياه ، وعليه انسحبت قوات علي باشا الى البصرة البالغ تعدادها أربعة آلاف جندي عن طريق البر والنهر، بعد إن توصل علي باشا إلى تفاهم مع إبن عليان وأدخله في طاعته ، وأمر جميع أمراء الجزائر أن ينقادوا إلى ابن عليان ويعولوا عليه في جميع أمورهم وأن يؤدوا ما عليهم من الإستحقاقات المالية

للدولة على يديه وأن يكون هو الوساطة بينهم وبين أموال الديوان [١٤٤]. وهذه الخطوة تنحو بأتجاه تحويل منطقة الجزائر الى اقطاعية تابعة لامارة افراسياب بعد أن كانت مشاعية ، وتحويل ابن اعليان الى متسلماً[١٤٥] يجبي الأموال، وقطعاً تلك الفكرة لا تلقى هواً في نفوس الكثيرين من اهل الجزائر، ويبدو انهم بدأوا يشعرون بأن الاموال المجتمعة من الضرائب ستذهب لأبن عليان والفئة المقربة منه وهم في الغالب من أسرته .

وعليه ، دخل بعض أهل الجزائر على أبن عليان وحفزوه على العصيان بتذكيره بأن هذه البلاد إرثاً له من الآباء والأجداد وأشاروا عليه بقولهم:"ما يزيدك دخولك في الطاعة إلا ذلاً "، مؤكدين له: "نحن أوليائك وأولياء آباؤك من قديم الدهر وسالف العصر"، فأستحسن رأيهم وعاهدهم على ذلك وأعلن عصيانه واجتمع حوله عدد كثير من أهل الجزائر فزاده ذلك إصراراً على تحقيق أهدافه ، أما دافع أمراء الجزائر في دفع إبن عليان لإعلان عصيانه وحسبما ذكره الحويزي بأنهم " كانوا يحسدونه بما هو عليه وما انتهوا هم إليه" [١٤٦] .

وتبعاً لذلك أعلن إبن عليان عدم الالتزام بالاتفاق الذي عقده مع علي باشا افراسياب وعصيانه عند دخول عام ١٦٢٨، وعليه حشد الاخير جيشه وتوجه اليهم في تشرين الأول من السنة نفسها حتى عينوا موضعاً قريباً من قلعه ابن عليان في نهر صالح ، فساروا اليه ليلاً وقاموا بهدم بناء قلعته ، فهجمت عليهم عساكر إبن عليان وأمراء الجزائر الموالين لهم " فقتل أكثر شجعانهم وفقد جليل فتيانهم "، وفي تلك الليلة لم يجد إبن عليان مايفعله حتى "إتخذ الليل جملاً وأخلى القلعة وفر"[١٤٧]، في وقت كان أهل الجزائر منقسمين في ولائهم بين إبن عليان وعلي باشا إفراسياب[١٤٨].

ويدلل هذا الإنقسام مؤشراً على بداية التحول باتجاه الصراع الطبقي داخليا(الجزائر) بعد أن كان موجه كلياً بأتجاه العدو الخارجي(العثمانيين)، بعد ان رأت طبقة من سكان الجزائر وشيوخها عدم وجود مبرراً لولاءهم لأبن عليان وما يمليه عليهم من التزامات مالية ورغبوا بألارتباط المباشر مع الأمارة الافراسيابية ، وطبقة أخرى بدت غير متصالحة مع الطابع شبه الاقطاعي فضلاً عن تسلح البعض منهم بمفاهيم المشاعية ذاتها، وبعد

ذلك وعياً طبقياً تجاه الفوارق التي بدت ملامحها بين سكان الجزائر، بعد أنْ بدأت البرجوازية طبقة جديدة ترتفع في السلم الهرمي، وأصبحت القلاع أكثر وضوحاً من تلك الفترة ، اذ يذكر الحويزي بأنَّ علي باشا فتح أربعين قلعة في حملته على ابن عليان[١٤٩]، وأنَّ نظام القلعة يعطي الدليل على مدى تحول العلاقات القبلية الابوية إلى علاقات طبقية راسخة ، كما أنَّ الوحدة الاقتصادية والسياسية للقبيلة بإعتبارها منظمة تعتمد على أساس القرابة بين أعضائها، قد تحولت هي الاخرى الى وحدة سياسية اقتصادية تحيط بزعماء متنفذين ، وأدى هذا التطور الطبقي الى تمزيق القبيلة بأعتبارها منظمة موحدة

ومن المهم أن نشير في تلك الأثناء إن علي باشا إفراسياب قد ولى مناطق الجزائر إلى خاصته من الرجال إذْ أبقى أمارة نهر عنتر لناصر الدين بن هشام والفتحية والمدينة للأمير زنبور فيما نصب أخيه الأمير أحمد افراسياب على منطقة نهر صالح والقلاع[١٥٠] بعد أن فقد إبن عليان سيطرته عليها، ولما حدث فيضان لنهري دجلة والفرات عام١٦٣٣م وغرقت جميع أراضي الجزائر فاعتقد أهلها إن في تلك الظروف لم يستطع أحد الوصول إليهم، حتى استقدموا بكتيهم ابن عليان ودعوه للعودة إلى الجزائر، في وقت كان قسم من كبار القوم في الجزائر على اتصال بالأمير علي بن افرسياب لاسترضائه ورفع الحيف عنهم وأن يعطوا بعض أولادهم رهناً على الوفاء بشروط الخدمة، وأن يقطعوا على أنفسهم مالاً يؤدونه في كل عام، وكان علي باشا قريباً من الرضا عنهم في ذلك، لكنه عندما علم استقدامهم لإبن عليان غير رأيه اتجاههم وقرر محاربتهم وعدم قبول ملتمساتهم في البقاء بأقطاعاتهم[١٥١]، ومن هذه الاشارات يتضح ان الامارة الافراسيابية قد اقعطت الأراضي للكثير من شيوخ العشائر في اراضي الجزائر واصبحو طبقة متنفذة بعد ان كانت كلها بيد ابن عليان ، ومن السهل فهم ان تلك الطبقة مرتعبة من الاظطرابات في المنطقة ،اذْ انها قد ساندت علي باشا افراسياب بأعتقادهم انه يضمن لهم الامن اللازم لنشاطهم الاقتصادي والحفاظ على منزلتهم الاجتماعية ، ويدلل ذلك – بديهياً- على وجود تطور خطي للنمو المطرد لهذه الطبقات، والى جانب ذلك وجود طبقة أخرى موالية لأبن عليان تتسلح بمفاهيم المشاعية .

لذلك أشار المقربون الى علي باشا افراسياب من أهل الجزائر بالصلح لصعوبة الوصول إلى ديارهم بسبب الفيضان، فوافق على ذلك بشرط نفي إبن عليان والقبض عليه وإرساله إليه ، فلم يقبل مؤيدوه بذلك، فسار إليهم من القرنة ونزل في قلعة الفتحية وأمر قادته التقدم بجيوشهم إليهم، فنزلوا أرضاً يقال لها طويسة[١٥٢] وبنو فيها معسكراً، أما أهل الجزائر وأمرائها الموالين لإبن عليان ساروا لمواجهتهم ووصولوا اليهم ليلاً، فقامت الحرب بين الطرفين، وانتصر جيش علي باشا افراسياب وعليه أخليت القلاع من سكانها وعسكر جيش علي باشا في مكانهم، ويذكر الحويزي بأن الجيش "باتوا تلك الليلة في غنيمة لم تغنم من قبل في تلك الديار"[١٥٣].

أما إبن عليان فكان في الجانب الآخر من نهر الفرات، وعلى ضوء تلك النتائج اضطر إلى الإنسحاب، وأصبح أهل الجزائر "منقادين متضرعين فر منهم من ظن أنَّ الفرار ينجيه وبقي من ظن بأن العفو سيشمله فعبر العسكر عليهم وأخذ القلاع بأسرها منهم وأخرجوهم من ديارهم صاغرين"، وكان المفتتح من تلك القلاع ما يقارب أربعين قلعة، فرتب علي باشا وضع الجزائر مع المخلصين من اتباعه ورجع إلى البصرة[١٥٤]، وبذلك خضعت الجزائر كلياً للامارة الافراسيابية واصبحت جزءاً من ممتلكاتهم .

ويتضح من خلال تلك الحملة أنَّ علي باشا أراد فيها قطع دابر إبن عليان، وهذا ما ذكره الشيخ فتح الله الكعبي أن علي باشا "خضد شوكة سكانها الذين صار خضوعهم منذ ذلك الحين مضرباً للأمثال"[١٥٥]، وفعلاً لمْ نجد ايَّ ذكر الى آل عليان في المصادر التاريخية بعد تلك الحادثة ، وخضعت الجزائر إلى الاقطاع المباشر للامارة الافراسيابية، وبذلك أنتهت مشاعية الأرض وظهرت الملكية الخاصة التي تخطت مستوى النظام الاجتماعي القبلي المشاعي في تلك المرحلة .

الخاتمة

-لايمكن القول أنَّ المصادفة التاريخية وحدها جمعت تلك الثورات المستمرة في جزائر البصرة بتلك المدة ، بل هناك الظروف الاقتصادية-الاجتماعية التي هيأت بأن يستقبل الوجود العثماني في مستهله اول ثورة من نوعها في جزائر البصرة ، إذ أن الحركات الثورية سياقاً طبيعياً من الظواهر التاريخية، وهو سياق خاضع لقوانين ليست مستقلة عن إرادة الأنسان وأدراكه ومقاصده .

-إن الظروف الطبيعية –البيئة الجغرافية – شكلت عاملاً في تحديد شكل العلاقة مع العثمانيين، ومن الواضح كان من الصعوبة أجتذاب العمال والمزارعين من خارج تلك البيئة الى هذه الاراضي ؛ وذلك كان السبب في تفضيل سكانها وفلاحيها الأصليين من قبل العثمانيين، وعليه نرى كثرة التفاوض والاتفاقات مع ابن عليان ولم يكن خيار القضاء عليه مطروحاً.

-لقد تأخرت عملية الأنتقال من النظام المشاعي الى النظام الأقطاعي، إذْ يعُد التحول تطور تاريخي طبيعي يحصل بشكل تدريجي يتم خلاله قطع المراحل الضرورية للوصول الى المرحلة التي تحتم وجوده كنتيجة لذلك التطور، وقد اكتملت تلك الظروف بعد ان ولدت وفرة الانتاج الزراعي في الجزائر في فترات الاستقرار فائض عن الحاجات المحلية مما أدى الى تنامي التبادلات التجارية ، بحيث اصبح الناتج الزراعي جزءاً في العملية التجارية اي انه اصبح ينتج من أجل المبادلة، أي أصبح إنتاجاً تجارياً، أستفادت منه فئة معينة اخذت على عاتقها جمع الأموال، وهكذا ظهرت طبقة برجوازية متنفذة تخطت مستوى النظام المشاعي القبلي في تلك المرحلة . وعلى صعيد آخر فقد شجع كلاً من العثمانيين والامارة الأفراسيابية ملكية الارض وانتقالها من المشاعية الى الملكية الخاصة من خلال اقطاعها الى شيوخ العشائر وذلك قد مهد الطريق لنشوء نظام جديد تتركز فيه القوتان السياسية والاقتصادية بأيديهم ، وبعد ذلك تحولاً لسلطة شيخ العشيرة من اساسها القديم القائم على مراعاة التقاليد القبلية الى أساس جديد هو مراعاة الوضع الاقتصادي للشيخ ؛ إذ ان ملكية الأرض -بالنسبة للمؤرخيين الماركسسين- مهمة جداً على الدوام ؛ ذلك لأن صيغ تملك وسائل الانتاج ولاسيما الأرض كانت مظهراً جوهرياً للعلاقات الانتاجية . ان هذه العوامل احدثت تفكيك في النظام المشاعي ومنها تشكلت طبقة من ملاك الاراضي شبه الاقطاعيين اضعفت بدورها الروابط والعلاقات العشائرية كما توحدت مصالحها مع امارة افراسياب الاقطاعية، ونشوء المجتمع القائم على التراتب الطبقي والتي صارت من سمات مجتمع الجزائر في صيغته الناجزة .

الهوامش

١- ينظر: عبد الرحمن ابو عوف ، حوار مع مؤرخ عربي ، مجلة قضايا عربية ،بيروت ، العدد الاول ، السنة السادسة ، كنون الاول – نيسان ١٩٧٩ ، ص١٣٣-١٤٢ .

٢ - حنا بطاطو ، العراق : الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،ترجمة عفيف الرزاز ، ج١ ، منشورات دار القبس ، الكويت ، ٢٠٠٣ ، ص٢١

٣ - الجزائر: وهي المنطقة التي تقع على نهر الفرات الذي يغمر مياهه المنطقة لدرجة إنها تغطي مساحات واسعة من الأراضي وعليه تكونت منطقة واسعة من المستنقعات والأهوار مكونة جزراً عديدة حتى عرفت بـ (الجزائر) ، وتنحصر المنطقة مابين القرنة والجبايش، وهي تشير بوضوح إلى قضاء المْدَيْنَة الحالية وتوابعها كونها حاضرة المنطقة ومركزا لأمرائها آنذاك ، وهذا ما أكدته الوثائق العثمانية إذ اشارت إلى أنَّ ((المْدَيْنَة أعظم قلاع الجزائر وأحصنها)) ، وذكر فتح الله الكعبي- وهو ممَّن عاصر أحداث المنطقة – بأن الجزائر((علم لمواضع كثيرة أولها قرية بني منصور، وبني حميد، ونهر عنتر [مركز إمارة ربيعه]، ونهر صالح [مركز إمارة آل عليان]، وديار بني أسد، وديار بني محمد، والفتحية، والقلاع، ونهر السبع، والباطنة، والمنصورية، والإسكندرية، وينتهي شمالاً إلى كوت معمر))، إن أغلب المواضع التي أوردها الكعبي تقع في الحدود الإدارية لقضاء المدَّيْنَة الحالي . للمزيد ينظر: حكم موجَّه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي بغداد في ٢٩/جمادي الاولى/٩٥٩هـ الموافق ٢٣/آيار/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، المجلد الثاني،إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، استنبول، ٢٠١١، ص١٠٩-١١١ ؛ فتح الله الكعبي، زاد المسافر ولهنة المقيم الحاضر،ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٧-٣٨ ؛ علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧، ص١٣٠ ؛ علي الشرقي، العرب والعراق، ط١، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣،ص.١٥٩

٤ - للاطلاع على المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ المنطقة ينظر : : حسام طعمة ناصر و مشتاق عيدان اعبيد ، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني ١٥٤٦ – ١٧١٨ ، دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية ، ط١ ، العتبة العباسية المقدسة ، قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية ، مركز تراث البصرة ، العراق ، ٢٠١٥ .

٥ - سجلتاريخي : ترجمة حرفية لكلمة historiographic وتعني التاريخ كمادة خام قبل ان يخضع لاجراءات علم التاريخ historiologu وقد فضل استخدام هذا المصطلح لتفريقة عن

كلمة (تاريخي) التي تدخل في استعمالات أُخرى . ينظر : هادي العلوي ، الصراع الطبقي في الاسلام ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٣٦٦ ، دار الرواد ، بغداد ، ايار٢٠١٤ ، ص٨٢ .

٦ - ينظر : مقدمة المحقق لكتاب عبد النبي الجزائري، حاوي الأقوال في معرفة الرجال، ج١، تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث، قم ، (د. ت) .

٧- نرى أنَّ الاسلام لم يكن عربيا وإنَّما كان عالميا بمعنى أنّه انتقل من القبلية الى العالمية دون أنْ يمر بمرحلة القومية ، وعلى ذلك ظل العرب حتى أواخر القرن التاسع عشر ، بل وحتى أوائل القرن العشرين لا يعرفون أنَّهم عرب، وانما يعرفون انفسهم جزءا من الأمة الاسلامية . عبد الرحمن أبو عوف، المصدر السابق ، ص١٤٠-١٤١ .

٨ - ابن عليان : وهم من قبيلة طي أقطعهم الخليفة الناصر لدين الله منطقة الجزائر مناصفة مع ربيعة ؛ لمساعدتهم له في حربه ضد أولاد شمله حكام عربستان، فاستقر ابن عليان الطائي في نهر صالح أحدى قرى الجزائر ، وأخذوا على عاتقهم مقاومة العثمانيين إبّان احتلالهم البصرة . للمزيد ينظر: حسام طعمة ناصر و مشتاق عيدان اعبيد ، المصدر السابق ، ص٣١ .

٩ - شاكر مصطفى سليم ، الجبايش : دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق ، ط٢ ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ص١٤٩-١٥٠ .

١٠ - عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص٩٧-٩٩ .

١١ - المصدر نفسه ، ص١٢٢ .

١٢ - عام ١٤٤٠م حدث صراع على السلطة بين حاكم الجزائر آنذاك الفضل بن عليان واخوته ، والتي تطورت الى حالة من الصراع الدموي بعد أقدام يحيى بن عليان على قتل الفضل مما أدى إلى انقسامهم وضعفهم ، وعلية سلمت الجزائر الى محمد بن فلاح المشعشعي دون قتال من قبل (شحل بن عليان) . ينظر : السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، الرحلة المكية ، نسخة خطية عربية في مكتبة سپهسالار (مطهري حالياً) ، طهران ، رقم ١٥١٣ ، ص٧ ؛ محمد هليل الجابري ، امارة المشعشعيين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ ، ص٤٣ .

١٣ - عبد الجبار ناجي وانيس عبد الخالق محمود (تحقيق) ، بغداد في مؤلفات الرحالة الاجانب من القرن السلدس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلاديين ، مراجعة شمران العجيلي ، ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٣، ص٤٣١ .

١٤ - حسين محمد القهواتي ، العراق بين الأحتلالين العثمانيين الاول والثاني (١٥٣٤-١٦٦٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥، ص٣٧٤ .

١٥ - بدأ اسكندر باشا رسالته الى علي بن عليان عام ١٥٦٧ بـ((يعلم الامير علي....)) . ينظر: السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، المصدر السابق، ص٥٩ .

١٦- حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني، ٩٥٣هـ - ١٠٧٩ / ١٥٤٦م – ١٦٦٨م، دراسة في التاريخ الاجتماعي والعمراني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨، ص١٥٠-١٥١.

١٧ - فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٩٣ .

١٨ - للأطلاع على حادثة اغتيال الامير علي واخيه الامير عيسى امراء ربيعة في نهرعنتر من قبل عبد الحسين بن عليان ينظر: عبد علي بن ناصر الحويزي، السيرة المرضية في شرح الفرضية ، تحقيق محمد الخال ، بأسم تاريخ الامارة الافراسيابية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦١، ص١٦-١٧.

١٩- طارق نافع الحمداني ، انتفاضات القوى العربية المحلية في البصرة والجزائر ضد التوسع العثماني خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد ٨، بغداد ١٩٨٤، ص٦٩.

٢٠ - سيزار فيدريجي ، رحلة فيدريجي الى العراق (القرن السادس عشر) ، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر ، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص١٦٦ ؛ سيزار فيدريجي ، رحلة سيزار فيدريجي بين حلب والبصرة ١٥٦٣ – ١٥٨١ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص٧٣ – ٧٤ .

٢١- حسين محمد القهواتي ، المصدر السابق، ص٣٧٤ .

٢٢- تافرنييه ، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٦٨ .

٢٣ - سبستياني ، رحلة سبستياني الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة الاب بطرس حداد ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص٤٥ -٤٦ .

٢٤- طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى... ،المصدر السابق ، ص٦٩.

٢٥- حسين علي عبيد المصطفى، المصدر السابق، ص١٥٣.

٢٦ - فرض العثمانيين على ابن عليان عندما أضطر إلى الصلح عام ١٥٤٩ الموافقة على دفع خمسة عشر سكة –وهو نقد عثماني- ذهباً كل سنة إلى الحكومة العثمانية ، وأنْ يُعيد بناء بعض الحصون ومن ضمنها القرنة . ينظر: صالح اوزبران ، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٣٤-١٥٨١) ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٩٢ ، هامش ٩ .

٢٧ - نيبور، رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، ترجمة سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الامين ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص.١٠١

٢٨ - بارثيملي كاريه ، رحلات الاب بارثيملي كاريه في العراق والخليج العربي وبادية الشام (١٦٦٩ – ١٦٧٤) ، ترجمة انيس عبد الخالق محمود وخالد عبد اللطيف حسين، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٤ ، ص٢٦٣-٢٦٤ .

٢٩- حسين علي المصطفى، المصدر السابق، ص١٠٦.

٣٠ - محمد حسين فوزي وابراهيم جاسم القرملي ، الأهوار ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص١٧ .

٣١- حسين علي مصطفى ،المصدر السابق، ص١٥١.

٣٢- شاكر مصطفى سليم، المصدر السابق، ص.٣٦

٣٣- نقلاً عن حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٦١، هامش رقم (١١).

٣٤- نقلا عن: جاسم حسن شبر، المصدر السابق، ص٧٠-٧٦.

٣٥ - ينظر: رسول بلاوي ، دور الامارة المشعشعية في انتعاش الحياة الثقافية والادبية في جنوب ايران والعراق ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الثاني والعشرون ، حزيران ٢٠١٧ ، ص٤-٥ .

٣٦- وهو الشيخ عبد النبي بن سعيد الملقب بالجزائري نسبة إلى مسقط رأسه ومكان نشأته الأولى في منطقة الجزائر، وانه لم يمكث في مكان محدد بل كان يتنقل بين مسقط رأسه وأماكن وجود الحوزات العلمية في النجف وكربلاء والمدينة المنورة ، وبعض بلاد إيران، وقد اخذ الإجازة عن الشيخ الأعظم المحقق الكركي، ، وبعد نيله الاجتهاد وكسبه القسط الأوفى من مختلف العلوم ، وله عدة مؤلفات ،إما عن خبر وفاته فقد ذكر الشيخ البهائي انه توفي يوم الخميس الثامن عشر من جمادي الأولى سنة إحدى وعشرون وألف. للمزيد ينظر: عبد النبي الجزائري، المصدر السابق، ص١١-٣٩.

٣٧- الجريب: مكيال قدره أربعة أقفزة، والجريب قدر ما يزرع من الأرض، وقيل الجريب، المزرعة. ينظر: لسان العرب، ج١، ص.٣٦٠

٣٨- وقد ذكر كذلك باسم (هجير). ينظر:علي الشرقي، الجزائر، المصدر السابق، ص.٥٢٧

٣٩- نقلا عن: عبد النبي الجزائري، المصدر السابق، ص١٨-.١٩

٤٠- الشيخ فتح الله الكعبي: وهو أبو علي جمال الدين عبد الله بن الشيخ علوان بن الشيخ بشار بن الشيخ مجمد بن الشيخ عبد الحسين الكعبي نسبا، القباني الدورقي مولدا ومنشأ ولد سنة ١٠٥٣هـ -١٦٤٣م، وقد عني والده بتثقيفه وتعليمه في وقت مبكر فقصد البصرة والحويزة وشيراز وحصل على معارف جمّة في النحو واللغة والأدب والفقه وتتلمذ على كبار شيوخ زمانه وأساتذة عصره، وفي العقد الثالث من عمره تولى قضاء البصرة مدة، فرأى القضاء مخلا في دينه فتركه ورجع إلى القبان، وأستقر فيها وأصبح يتصدر حلقات التدريس ومجالس الإفتاء، ويشارك العلماء والمفكرين في ندواتهم فعرفوا له هذه المنزلة وأشادوا به واثنوا على مقامه، فقال فيه الأديب عبد الله التستري: ((كان عالما أديبا وقورا حسن التصنيف)) ومن أثاره العلمية: كتاب الدرر البهية في شرح الاجرومية، في النحو، وشرح الفتوحات في المنطق، ورسالة في القراءة وغيرها، توفي سنة ١١٣٠هـ -١٧١٨م. ينظر: عبد الرحمن كريم اللامي، الادب العربي في الاحواز : من مطلع القرن الحادي عشر الهجري الى منتصف القرن الرابع عشر ، العراق ، ١٩٨٥ ، ص٤٠٣-٤٠٥ .

٤١- السيد نعمة الله الجزائري: هو نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الجزائري نسبة الى الجزائر، وينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم (ع)، ولد في سنة ١٠٥٠هـ - ١٦٤٠م في قرية الصباغية وهي إحدى قرى الجزائر(تسمى حاليا بالاسم ذاته)، تنقل منذ نعومة أظفاره طلباً

للعلم ، فقصد قرية كارون ونهر عنتر وشط بني أسد ونهر صالح ثم مدينة الحويزة والبصرة، ثم سافر الى شيراز وهي يومئذ مقصد الطلبة من جميع البلدان، فنزل في المدرسة المنصورية وبقي هناك تسع سنين ثم عاد إلى الجزائر ومكث فيها سنة، فألزمه والده على الزواج، سافر بعدها إلى أصفهان حيث تعرف هناك على العلامة المجلسي صاحب موسوعة ((بحار الأنوار))، وأقام عنده في منزله أربع سنين، توجّه بعدها إلى بلده الجزائر في سنة ١٦٦٧م، وهي السنة التي أرسل بها الأتراك جيشا لمحاصرة الجزائر، توجّه على أثر ذلك إلى الحويزة ومن ثم إلى مدينة تستر واتخذها دار وطن فتولى فيها مشيخة الإسلام وإمامة الجمعة والجماعة وسائر المناصب الشرعية، وله ما يقارب تسعة وعشرين مؤلفاً من أشهرها زهر الربيع، والأنوار النعمانية، وغاية المرام في شرح تهذيب الإحكام، وكشف الأسرار في شرح الاستبصار وغيرها، توفي عام ١٠١٢هـ - ١٧٠٠م. للمزيد ينظر: عبد الرحمن كريم اللامي، المصدر السابق، ص٣٢٩ .

٤٢- فتح الله الكعبي،المصدر السابق، ص.٧

٤٣- نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢١٠-٢١٩.

٤٤ - للاطلاع على رجال الدين الجزائريون ينظر: عبد الرحمن كريم اللامي ، المصدر السابق .

٤٥ - شاكر مصطفى سليم ، المصدر السابق ، ص١٥١ .

٤٦ - فلادمير لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ ،ص١٠ .

٤٧- حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص.١٦٣

٤٨- عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٥، ص١١٦-١١٧.

٤٩- ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٥، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢١ ؛ حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص.١٦٤

٥٠ - بارثيملي كاريه ، المصدر السابق ، ص٢٦٣-٢٦٤ .

٥١- ل. ن. كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٨٥، ص٨٢-٨٣ .

٥٢ - شاكر مصطفى سليم، المصدر السابق، ص١٦٩.

٥٣- المصدرنفسه ، ص.١٦٨

٥٤- عقيل عبد الحسين المالكي ، ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص٣٩ .

٥٥ - ينظر : يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد ، القسم الثاني ، بغداد ، ١٩٥٥، ص٣٨٩ .

٥٦- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص.١٣٢

٥٧ - المصدر نفسه ، ص١٩٧ .

٥٨- فلادمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

٥٩- طارق نافع الحمداني، مدن العراق، ص٦٥-٦٦.

٦٠- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٤٠ .

٦١ - علي شاكر علي ، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر ، ط١ ،الاردن ، ٢٠١١ ، ص٨٤ .

٦٢- المصدر نفسه ، ص٤٧ ؛ ابن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢، ص١٥؛ جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١،ط١،بغداد ،١٩٧١، ص٣٦؛ غافن يونغ، العودة إلى الأهوار، ترجمة فريد شكاره، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ١٩٩٠، ص٥٠ ..

٦٣ - فاضل بيات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ،رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٥٤ .

٦٤- فاضل بيات ،الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

٦٥ - ينظر: فاضل بيات ، دراسات في تاريخ... ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

٦٦- حسين علي المصطفى ، المصدر السابق ، ص٢٩ .

٦٧- المُدَيْنَة : حاضرة جزائر البصرة سابقاً ، وهي إحدى أقضية محافظة البصرة، تقع في الجزء الشمالي الغربي من مركز المحافظة، ، يحدها من الشمال والشمال الغربي محافظة ميسان ومن الغرب محافظة ذي قار ومن الجنوب والجنوب الشرقي قضاء الزبير وناحية الدير وشرقا قضاء القرنة ويشغل القضاء حيزا مكانيا مساحته الكلية (٩٨٩)كم٢ وتشكل هذه المساحة نسبة مقدارها ٥.١٩% من مساحة محافظة البصرة، فيما يشير التقرير السري لدائرة الاستخبارات البريطانية الذي نقله الى العربية الاستاذ عبد الجليل الطاهر تحت عنوان (العشائر والسياسة) وكتابة العشائر العراقية ، إلى أنَّ السير البريطاني هنري دوبس نصب

الشيخ حميد المير جابر مديراً لناحية المْدَيْنَة بتاريخ ١٩١٦/١٢/٤ الذي عمل ضمن الادارة البريطانية حتى تشرين الاول ١٩٢٠ ، وبعد ذلك اصبح الشيخ حسك المبارك مديراً لناحية المْدَيْنَة بتاريخ ٢٣-٢-١٩٢١ وفق ما جاء في جريدة الحكومة العراقية لسنة ١٩٢١ ، ويذكر الدليل الاداري للجمهورية العراقية للعام ١٩٨٩-١٩٩٠ ان المدينة استحدثت الى ناحية عام ١٩٢٠، ثم اصبحت قضاءاً بموجب المرسوم الجمهوري المرقم (٧١٧) في ١٩٧٨م، ويتكون القضاء حالياً من ثلاث وحدات إدارية تتضمن مركز القضاء ، وناحية الشهيد عز الدين سليم (تسمى سابقا، الهويرثم العز، وسميت بإسمها الحالي) وناحية الإمام الصادق (طلحة سابقا) ، ويوجد في القضاء بعض التلال الأثرية أهمها تل أبو الصلابيخ الذي يرجع تاريخه إلى العصر الكيشي والآشوري (١٦٠٠-٩١١)ق.م والعصر البابلي الحديث (٦٢٥-٥٣٩)ق.م والعصر الاسلامي. للمزيد ينظر: تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية، العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، النجف، (د.ت)، ص٩ (الهامش)؛ عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٨٧ ؛ جريدة الحكومة العراقية ، العدد ٢٠ ، بغداد ، ٢١ اكتوبر ١٩٢١ ، ص٤-١٠ ؛ لجنة إعلام (مديرية إرشاد المنطقة الجنوبية)، البصرة في مهرجان الشعر التاسع، البصرة، ١٩٦٩، ص٣١-٣٢؛الجمهورية العراقية وزارة الحكم المحلي، الدليل الاداري للجمهورية العراقية ١٩٨٩-١٩٩٠، ج٢، ط١، ١٩٩٠، ص٣٦٢ ؛ بشرى رمضان ياسين، تحليل جغرافي للإنتاج الزراعي في قضاء المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢ ؛ محمد اطخيخ ماهود المالكي، قضاء المدينة دراسة في الجغرافية الإقليمية، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،٢٠٠٩، ص٤٠-٤٢؛ عبد الرزاق الحسني، رحلة في العراق او خاطرات الحسني، ط١، بيروت، ٢٠١٣، ص.١٢٥

٦٨- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص٤٨ .

٦٩- السالیانة : لفظة فارسية تعني (سنوي) ، واستخدمت للدلالة على الايالاتالتي لم يطبق فيها نظام الخاص والزعامة والتيمار ، وبموجب هذا النظام كان يتم جمع موارد الايالة باسم خزينة الدولة بشكل مباشر ، وبعد أن يتم دفع مرتبات البكلربكي وامراء السناجق والجنود فيها، يرسل المتبقي منها الى خزينة الدولة . ينظر : فاضل بيات ، الدولة العثمانية... ، المصدر السابق، ص١٠٨.

٧٠- المصدر نفسه ، ص١٠٩-١١٠ .

٧١- اسماء رمضان الشيخ خليل ، اوضاع لواء الغراف وناحية العشار بولاية البصرة في منتصف القرن السادس عشر: دراسة اقتصادية ديموغرافية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، المجلد ٤١ ، العدد ١٥٩ ، الكويت ، ٢٠١٥ ، ص٢٠٦-٢٠٧ .

٧٢- طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى....المصدر السابق ، ص٦٩.

٧٣ - اسماء رمضان الشيخ خليل ، المصدر السابق ، ص١٦٩ .

٧٤ - حسين محمد القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣٧٤ .

٧٥- كان السلطان يقطع القادة والأغوات والحكام مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة والذين عرفوا حسب تقسيماتها بأصحاب " التيمار" ويتراوح مساحته بين ٣٠٠ . ٥٠٠ فداناً، و" الزعامت" إقطاع أكبر من التيمار، تزيد مساحته على ٥٠٠ فداناً وعادة ما يملكه البكوات والزعماء والباشوات ويتراوح دخله بين ١٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠ أقجة سنوياً (والاقجة عملة فضية وهي وحدة النقد الأساسية في الدولة العثمانية حتى النصف الأول من القرن السابع عشر)، أما "الخاص " فهو إقطاع كبير يزيد وارده السنوي على ١٠٠٠٠٠ أقجة وعادة ما يمنح للولاة من الوزراء، وهناك أراضي " خواص" في عدة ولايات مسجلة باسم السلطان تحت عنوان " خواصي همايون" وكانت الإقطاعيات العسكرية تتوزعها الولايات العثمانية وتنقسم الولايات إلى سناجق، ويتألف كل سنجق من التيمارات والزعامات. للتفصيل ينظر: خليل علي مراد، تأريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨ . ١٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص ٢٨٩ . ٣٠٩.

٧٦ حسين علي عبيد المصطفى، المصدر السابق، ص١٥٣.

٧٧ - فاضل بيات ، الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٣٢٠ .

٧٨ - ينظر: جون نيوبري ، العراق وبادية الشام في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، المصدر السابق ، ص١٠٩ ؛ جون نيوبري ، العراق في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٢) ، السنة الحادية عشر ، دار الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٢ ، ص٥٩ ؛ رالف فتش ، رحلة رالف فتش من حلب حتى البصرة ١٥٨٣ – ١٥٨٩ ، ضمن كتاب : رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، المصدر السابق ، ص١٦٢

٧٩ - جان اوتر ، العراق والخليج العربي في رحلة جان اوتر (١٧٣٦ – ١٧٤٣) ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ ، ص٢٠٨ .

٨٠ - فاضل بيات ،الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٢٦٧ .

٨١- حكم موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي بغداد في ٢٩/جمادي الاولى/٩٥٩هـ الموافق ٢٣/آيار/ ١٥٥٢م ، فاضل بيات، البلاد العربية... ، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٣.

٨٢- المصدر نفسه، ص١١٣.

٨٣ - حكم موجه من الديوان الهمايوني في استنبول الى بكلربكي البصرة قباذ باشا، في ٧/شعبان/٩٥٩هـ الموافق ٢٩/تموز/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، البلاد العربية... ، المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

٨٤- المصدر نفسه ، ص١٢٠-١٢٣.

٨٥ - فلادمير لوتسكي ، المصدر السابق ،ص١٠ .

٨٦-المصدر نفسه ، ص١٦ .

٨٧- حسين محمد القهواتي ، المصدر السابق ، ص٣٧٤ .

٨٨- حكم موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلر بكي الجزائر و المْدَيْنَة قباذ باشا، في ٧/شعبان/٩٥٩هـ الموافق ٢٩/تموز/ ١٥٥٢م، فاضل بيات، البلاد العربية... ، المصدر السابق، ص١٢٠.

٨٩- المصدر نفسه.

٩٠- فيصل عبد الله الكندري ، الحركة التجارية لمدينة البصرة من خلال قانون نامة ولاية البصرة لعام ٩٥٩ هـ/١٥٥٢م ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، العدد السادس عشر ، قطر ، ٢٠٠٤ ، ص١٦٦-١٦٧ ، ص١٧٧ .

٩١- الاقجة : وهي عملة فضية ، وقد استخدمها العثمانيون كوحدة حسابية في قانون نامة البصرة ، على الرغم من ان الاقجة لم تكن متداولة في المنطقة . ينظر: شوكت باموك ، التاريخ المالي للدولة العثمانية ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٩٧ ، الهامش .

٩٢- فيصل عبد الله الكندري ، الحركة ... ، المصدر السابق ، ص١٩٣-١٩٤ .

٩٣ - البطمان : وهي وحدة وزن للحبوب ، ويختلف مقدارها من مكان لآخر ، وهي تتراوح مابين ٢-٨ اوقية . ينظر: المصدر نفسه ، ص١٧٧ ، الهامش .

٩٤ - اسماء رمضان الشيخ خليل ، المصدر السابق ، ص٢٠٢ .

٩٥- فيصل عبد الله الكندري ، الحركة... ، المصدر السابق ، ص١٧٨ ، ص١٨٨-١٩٥ .

٩٦ - النيلة : نوع من الاصباغ التي تاتي من الهند ولأنها من الاشياء المستوردة فكانت اثمانها مرتفعة . ينظر: محمد عاكف آيدين واخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، استانبول ، ١٩٩٩ ، ص٧٥٠ .

٩٧ - فيصل عبد الله الكندري ، الحركة... ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

٩٨ - فيصل الكندري ، اوضاع لواءي زكية وقورنة من خلال قانون نامة ولاية البصرة لعام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م ، مجلة حوليات عين شمس ، عدد ٣ ، مجلد ٣٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص١٢٧ .

٩٩- المصدر نفسه ، ص١٢٩ .

١٠٠ - خليل اينالجك ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ١٣٠٠-١٦٠٠ ، المجلد الاول ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٥٠١-٥٠٥ .

١٠١ - ومن الجدير ذكره بهذا الشأن إن الوثائق العثمانية التي بين ايدينا عن تلك المدة تكاد تخلو من أية اشارة واضحة عن منطقة المدينة والجزائر كولاية عثمانية كما في السابق، في حين كانت جل مخاطبات الديوان الهمايوني موجه الى والي البصرة،الأمر الذي يؤكد إعادة البصرة لوضعها الاداري كولاية عثمانية بعد أن خفضت الى لواء تابع لولاية المدينة والجزائر(كما مر بنا).

١٠٢- عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٤ ، ص٩٢ .

١٠٣- جعفر الخياط ، المصدر السابق ، ص٣٦-٣٧ .

١٠٤- حكم رقم (١١٩) موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلربكي البصرة، المؤرخ في ١٨ محرم ٩٧٣هـ الموافق ١٥ آب ١٥٦٥م، فاضل بيات، البلاد العربية... ، المصدر السابق، ص٢٦١.

١٠٥ - فاضل بيات ، الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٣٢٠-٣٢١ .

١٠٦- حكم موجه من الديوان الهمايوني في اسطنبول الى بكلربكي بغداد في ١٨ شوال ٩٧٢هـ الموافق ١٩ آيار١٥٦٥م، فاضل بيات، البلاد العربية... ، المصدر السابق، ص٢٥٧.

١٠٧- المصدر نفسه، ص١٠٦.

١٠٨- نقلا عن: عبد النبي الجزائري، المصدر السابق ، ص٤٢-٤٤ .

١٠٩- محمد بن الحارث: لقب بالجزائري نسبة إلى الجزائر، وينتسب إلى ربيعة والحارث هو الأخ الأصغر لجبر بن الأمير صالح ، ووصفه السيد حسين بن السيد حيدر الحسيني الكركي في إجازته بالفقيه المتكلم، قال: انه يروي عنه السيد حسين بن السيد حسن الحسيني الموسوي الكركي، وقال عنه الحر العاملي: كان فاضلا عالما شاعرا صدوقا محققا من تلامذة الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي. نقلا عن: عبد النبي الجزائري، المصدر السابق، ص١٣-١٤.

١١٠- حسين علي عبيد المصطفى، المصدر السابق، ص١٥٠.

١١٢- نعمة الله الجزائري، زهر الربيع، ج٢، النجف، ١٩٥٤، ص١٢٦-١٢٩ ؛ طارق نافع الحمداني، مدن العراق، المصدر السابق، ص٧٠-٧١ ؛ عبد النبي الجزائري، المصدر السابق، ص٤٤-٤٦ .

١١٣- عباس العزاوي، المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٤ ؛ طارق نافع الحمداني، إنتفاضات القوى... ، المصدر السابق ، ص٧٠ ؛ عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص١٨٦-١٨٧.

١١٤- فاضل بيات ، الدولة العثمانية ... ، المصدر السابق ، ص٣٢١-٣٢٢ .

١١٥- علي شاكر علي ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

١١٦- فاضل بيات ، الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٣٢١-٣٢٢ .

١١٧ - بجوى ابراهيم افندي ، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية ، من عهد السلطان سليمن القانوني حتى عهد السلطان سليم الاول ، ترجمة ناصر عبد الرحيم حسين ، المجلد الاول ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص٥٠٨ .

١١٨- فلادمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص١٠ .

١١٩- فاضل بيات ، الدولة العثمانية... ، المصدر السابق ، ص٣٢١ .

١٢٠- ثريا فاروقي واخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ١٦٠٠-١٩١٤م ، المجلد الثاني ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط١ ،دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص١٣٦ .

١٢١- نقلاً عن: حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص٤٥.

١٢٢- حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص.٤٦

١٢٣ - خليل اينالجك ، المصدر السابق ، ص٥٠١ .

١٢٤- المصدر نفسه، ص١٤٩-.١٥٠

١٢٥- حسين علي المصطفى، المصدر السابق، ص١٠٣-.١٠٤

١٢٦- ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص.١٣

١٢٧- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص.٣٨

١٢٨- عباس العزاوي، المصدر السابق، ص١٣٤ ؛ طارق نافع الحمداني، انتفاضات القوى... ، المصدر السابق، ص٧٠؛ ابن الغملاس، المصدر السابق، ص٥٧.

١٢٩- عاش الأمير علي هذا طويلاً وتوفي عام ٩٨٨هـ (١٥٧٩م)، هكذا ضبط سنة وفاته السيد علي خان بن المولى عبد الله حاكم الحويزة في مؤلف له(مخطوطة) يترجم فيه لأعلام الدولة المشعشعية بعنوان الرحلة الحجازية. نقلاً عن: حمود حمادي الساعدي،المصدر السابق، ص.٢٢١

١٣٠-عبد النبي الجزائري، المصدر السابق، ص.٤٦

١٣١- علي شاكر علي، المصدر السابق، ص١٢٧ .

١٣٢- طارق نافع الحمداني ، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنة الخامسة، ١٩٨٢ ، ص٢١٣-.٢١٤

١٣٣-علي ظريف الأعظمي ، المصدر السابق ، ص.١٢٩

١٣٤- فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص٢٨ ؛ عباس العزاوي، المصدر السابق، ج٤، ص.١٧٣

١٣٥- عبد علي بن ناصر الحويزي، المصدر السابق، ص٥؛ محمد ظريف الأعظمي، المصدر السابق، ص١٣٠.

١٣٦-ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق، ص.١٢٨

١٣٧-ذكره الحويزي بإسم نعمة الله بن محمد بن سلطان.

١٣٨-عبد علي بن ناصر الحويزي، المصدر السابق ، ص١٦ .

١٣٩- ينظر: المصدر نفسه ، ص١٩ .

١٤٠- عبد علي بن ناصر الحويزي، المصدر السابق، ص٢٣ ؛ حسين علي مصطفى، المصدر السابق، ص١٠٣ .

١٤١- يذكر الرحلة البرتغالي بيدرو تيخيرا (Pedro Texrea) الذي وصف منطقة شمال البصرة وجزائرها ، أنَّ ارضها " خصبة ومزروعة فيها بساتين نخيل شاسعة وبساتين فاكهة وحدائق " ويضيف أنَّ على " الشواطىء شاهدنا قطعاناً وأسراباً كثيرة وطيور وأوز وبط ودجاج وبهائم أخرى ، أمّا السكان فهم من العرب الذين يتواصلون فيما بينهم سباحة على جلود منفوخة ، وقد جاء الكثير منهم إلى سفينتنا لبيع الدجاج البحري والأوز والحليب والزبدة والتمور وغيرها من الأطعمة وكلها بأسعار زهيدة جداً ". ينظر: بيدرو تيخيرا ، رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة الى حلب عبر الطريق البري (١٦٠٤ – ١٦٠٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٠ – ٣١ .

١٤٢- نقلا عن: السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، المصدر السابق ، ص٦٢ ؛ عبد علي بن رحمة الله الحويزي البحراني،تأريخ الدولة الافراسيابية، دراسة تحقيق سعدون جاسم محمد الجزائري، ط١، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف ، ٢٠١٣، ص٣١١.

١٤٣- رجل يقال له كنعان بن عثمان الشاعر، هو وأبيه عثمان يغنيان في الرباب في الأعراس.ينظر: فتح الله الكعبي، المصدر السابق، ص٣٢ .

١٤٤- الطبقة : عبارة عن تكوين اقتصادي في اساسه بالرغم من انه يشير في النهاية الى الموقع الاجتماعي للافراد والعائلات المكونين له في مظاهره المختلفة . ينظر : حنا بطاطو ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

١٤٥- عبد علي بن ناصر الحويزي ، المصدر السابق ، ص١٧-٢٠.

١٤٦- المتسلم : وهو الشخص الذي يتولى مهمة جمع الموارد الخاصة بالدولة في المناطق التي "يتسلمها" ، ويكون تعيين المتسلم لمدة عام في الغالب ، وقد تتولى احدى العائلات هذه الوظيفة وتظل تحتفظ بها لمدة طويلة . ينظر: محمد عاكف آيدين واخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦٣ .

١٤٧- عبد علي بن ناصر الحويزي ، المصدر السابق ، ص٢٥-٢٦.

١٤٨-المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.

١٤٩- المصدر نفسه ، ص٢٩.

١٥٠- المصدر نفسه، ص٣٥.

١٥١- القلاع: وتسمى حاليا بـ(الجلع) وتقع على الضفة الشمالية لنهر الفرات مقابل نهر صالح.

١٥٢-عبد علي بن ناصر الحويزي، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

١٥٣- طويسه: وهي إحدى المواضع التابعة لقضاء المدينة تقع على الضفة الجنوبية لنهر الفرات تبعد عن مركز قضاء باتجاه الجبايش بنحو ١٢كم، فيما تبعد عن مقر آل عليان في نهر صالح بحوالي ٤كم غربا، ويستدل من ذلك إن ابن عليان عند عودته إلى الجزائر اتخذ من منطقة الأهوار غرب المدينة ملجأ له، لاسيما بعد وقوع قلعة المدينة، والفتحية، ونهر عنتر، ونهر صالح تحت السيطرة المباشرة لحكومة البصرة.

١٥٤- عبد علي بن ناصر الحويزي، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

١٥٥- المصدر نفسه ، ص٣٥.

١٥٦- نقلاً عن: ستيفن هيمسلي لونكريك، المصدر السابق ، ص١٣٣.

قائمة المصادر

اولاً :الكتب الوثائقية

١- الجمهورية العراقية وزارة الحكم المحلي، الدليل الاداري للجمهورية العراقية ١٩٨٩-١٩٩٠، ج٢، ط١، ١٩٩٠.

٢- تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية، العشائر والسياسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، النجف، (د.ت) .

٣- جريدة الحكومة العراقية ، العدد ٢٠ ، بغداد ، ٢١ اكتوبر ١٩٢١.

٤- فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواسط القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، المجلد الثاني، إعداد وترجمة ودراسة فاضل بيات، استنبول، ٢٠١١.

٥- لجنة إعلام (مديرية إرشاد المنطقة الجنوبية)، البصرة في مهرجان الشعر التاسع، البصرة، ١٩٦٩.

ثانياً : المخطوطات

١ – السيد علي خان الموسوي المشعشعي ، الرحلة المكية ، نسخة خطية عربية في مكتبة سپهسالار (مطهري حالياً) ، طهران ، رقم ١٥١٣.

ثالثاً : الرسائل والاطاريح الجامعية

١- بشرى رمضان ياسين، تحليل جغرافي للإنتاج الزراعي في قضاء المدينة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٢.

٢- حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني، ٩٥٣هـ - ١٠٧٩ / ١٥٤٦م – ١٦٦٨م، دراسة في التاريخ الاجتماعي والعمراني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٨.

٣- حسين محمد القهواتي ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني (١٥٣٤-١٦٦٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥.

٤- خليل علي مراد، تأريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨ . ١٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

٥- محمد اطخيخ ماهود المالكي، قضاء المدينة دراسة في الجغرافية الإقليمية، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية GIS، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة البصرة،٢٠٠٩.

٦- محمد هليل الجابري ، امارة المشعشعيين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣.

رابعاً: الكتب

١- ابن الغملاس، ولاة البصرة ومتسلموها، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢.

٢- بارثيملي كاريه ، رحلات الاب بارثيملي كاريه في العراق والخليج العربي وبادية الشام (١٦٦٩ – ١٦٧٤) ، ترجمة انيس عبد الخالق محمود وخالد عبد اللطيف حسين، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٤.

٣- بجوى ابراهيم افندي ، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية ، من عهد السلطان سليمن القانوني حتى عهد السلطان سليم الاول ، ترجمة ناصر عبد الرحيم حسين ، المجلد الاول ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٥.

٤- بيدرو تيخيرا ، رحلة بيدرو تيخيرا من البصرة الى حلب عبر الطريق البري (١٦٠٤ – ١٦٠٥) ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣.

٥- تافرنييه ، رحلة الفرنسي تافرنييه الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦.

٦- ثريا فاروقي واخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ١٦٠٠-١٩١٤م ، المجلد الثاني ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط١ ،دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧.

٧- جان اوتر ، العراق والخليج العربي في رحلة جان اوتر (١٧٣٦ – ١٧٤٣) ، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين ، مراجعة انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٥ .

٨- جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١،ط١،بغداد ،١٩٧١.

٩- حسام طعمة ناصر و مشتاق عيدان اعبيد ، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني ١٥٤٦ – ١٧١٨ ، دراسة في الاحوال السياسية والاجتماعية ، ط١ ، العتبة العباسية المقدسة ، قسم شؤون المعارف الاسلامية والانسانية ، مركز تراث البصرة ، العراق ، ٢٠١٥ .

١٠- حنا بطاطو ، العراق : الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،ترجمة عفيف الرزاز ، ج١ ، منشورات دار القبس ، الكويت ، ٢٠٠٣.

١١- خليل اينالجك ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ١٣٠٠-١٦٠٠ ، المجلد الاول ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

١٢- رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، رحلات بين العراق وبادية الشام خلال القرن السادس عشر ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠١٣.

١٣- شاكر مصطفى سليم ، الجبايش : دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق ، ط٢ ، مطبعة العاني ، بغداد ،١٩٧٠.

١٤- سبستياني ، رحلة سبستياني الى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة الاب بطرس حداد ، بغداد ، ٢٠٠٤.

١٥- ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٥، بيروت، ٢٠٠٤.

١٦- شوكت باموك ، التاريخ المالي للدولة العثمانية ، ترجمة عبد اللطيف الحارس ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٥.

١٧- صالح اوزبران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي (١٥٣٤-١٥٨١) ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٩.

١٨- عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.

١٩- عبد الجبار ناجي وانيس عبد الخالق محمود (تحقيق) ، بغداد في مؤلفات الرحالة الاجانب من القرن السلدس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلاديين ، مراجعة شمران العجيلي ، ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٣.

٢٠- عبد الجليل الطاهر ، العشائر العراقية ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٢.

٢١- عبد الرحمن كريم اللامي، الادب العربي في الاحواز : من مطلع القرن الحادي عشر الهجري الى منتصف القرن الرابع عشر ، العراق ، ١٩٨٥.

٢٢- عبد الرزاق الحسني، الصابئون في حاضرهم وماضيهم، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٥.

٢٣- عبد الرزاق الحسني، رحلة في العراق او خاطرات الحسني، ط١، بيروت، ٢٠١٣.

٢٤- عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠.

٢٥- عبد النبي الجزائري، حاوي الأقوال في معرفة الرجال، ج١، تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث، قم ، (د. ت) .

٢٦- عبد علي بن ناصر الحويزي، السيرة المرضية في شرح الفرضية ، تحقيق محمد الخال ، بأسم تاريخ الامارة الافراسيابية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٦١.

٢٧- عبد علي بن رحمة الله الحويزي البحراني،تأريخ الدولة الافراسيابية، دراسة تحقيق سعدون جاسم محمد الجزائري، ط١، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف ، ٢٠١٣.

٢٨- عقيل عبد الحسين المالكي ، ميسان وعشائرها قديماً وحديثاً ، بغداد ، ١٩٩٢.

٢٩- علي الشرقي، العرب والعراق، ط١، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٣ .

٣٠- علي شاكر علي ، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر ، ط١ ،الاردن ، ٢٠١١ .

٣١- علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧.

٣٢- غافن يونغ، العودة إلى الأهوار، ترجمة فريد شكاره، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ١٩٩٠.

٣٣- فاضل بيات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ،رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

٣٤- فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧.

٣٥- فتح الله الكعبي، زاد المسافر ولهنة المقيم الحاضر،ط٢، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢.

٣٦- فلادمير لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١.

٣٧- ل. ن. كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، ترجمة عبد الواحد كرم ، بغداد ، ١٩٨٥.

٣٨- محمد حسين فوزي وابراهيم جاسم القرملي ، الاهوار، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٨.

٣٩- محمد عاكف آيدين واخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوي ، استانبول ، ١٩٩٩.

٤٠- نعمة الله الجزائري ، الأنوار النعمانية، ج٤، ط١، بيروت، ٢٠٠٨.

٤١- نعمة الله الجزائري، زهر الربيع، ج٢، النجف، ١٩٥٤.

٤٢- نيبور، رحلة نيبور الكاملة الى العراق ، ترجمة سعاد هادي العمري ومصطفى جواد ومحمود حسين الامين ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠١٢.

٤٣- يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد ، القسم الثاني ، بغداد ، ١٩٥٥.

خامساً : البحوث والمقالات

١- اسماء رمضان الشيخ خليل ، اوضاع لواء الغراف وناحية العشار بولاية البصرة في منتصف القرن السادس عشر : دراسة اقتصادية ديموغرافية ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، المجلد ٤١ ، العدد ١٥٩ ، الكويت ، ٢٠١٥ .

٢- جون نيوبري ، العراق في رحلة جون نيوبري سنة ١٥٨٣ ، ترجمة وتعليق انيس عبد الخالق محمود ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد (٣٢) ، السنة الحادية عشر ، دار الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٢.

٣- رسول بلاوي ، دور الامارة المشعشعية في انتعاش الحياة الثقافية والادبية في جنوب ايران والعراق ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الثاني والعشرون ، حزيران ٢٠١٧.

٤- سيزار فيدريجي ، رحلة فيدريجي الى العراق (القرن السادس عشر) ، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد ، مجلة المورد ، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع ، بغداد ، ١٩٨٩.

٥- طارق نافع الحمداني ، انتفاضات القوى العربية المحلية في البصرة والجزائر ضد التوسع العثماني خلال القرن السادس عشر، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد ٨، بغداد ١٩٨٤.

٦- طارق نافع الحمداني ، موقف القوى المحلية من الولاة العثمانيين في البصرة خلال القرن السادس عشر، مجلة دراسات للأجيال، العدد الثالث، السنة الخامسة، ١٩٨٢.

٧- عبد الرحمن ابو عوف ، حوار مع مؤرخ عربي ، مجلة قضايا عربية ،بيروت ، العدد الاول ، السنة السادسة ، كنون الاول – نيسان ١٩٧٩.

٨- هادي العلوي ، الصراع الطبقي في الاسلام ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٣٦٦ ، دار الرواد ، بغداد ، ايار ٢٠١٤ .

٩- فيصل عبد الله الكندري ، الحركة التجارية لمدينة البصرة من خلال قانون نامة ولاية البصرة لعام ٩٥٩ هـ/١٥٥٢م ، مجلة مركز الوثائق والدراسات الانسانية ، العدد السادس عشر، قطر، ٢٠٠٤.

١٠-فيصل الكندري ، اوضاع لواءي زكية وقورنة من خلال قانون نامة ولاية البصرة لعام ٩٥٩هـ/١٥٥٢م ، مجلة حوليات عين شمس ، عدد ٣ ، مجلد ٣٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤.